سـورة الواقعة

● بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة السورة

مكية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء. وقال ابن عباس وقتادة : إلا آية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة]. وقال الكلبي: مكية إلا أربع آيات، منها آيتان ﴿أَفَبِهَـٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة] نزلتا في سفره إلى مكة، وقوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٤٠] نزلتا في سفره إلى المدينة. وقال مسروق: من أراد أن يعلم نبأ الأولين والأخرين، ونبأ أهل الجنة، ونبأ أهل النار، ونبأ أهل الدنيا، ونبأ أهل الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة. وذكر أبو عمر بن عبد البر في« التمهيد» و «التعليق» والثعلبي أيضا: أن عثمان دخل على ابن مسعود يعوده في مرضه الذي مات فيه فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي. قال: أفلا ندعو لك طبيبا؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: أفلا نأمر لك بعطائك ؟ قال: لا حاجة لي فيه، حبسته عني في حياتي، وتدفعه لي عند مماتي؟ قال: يكون لبناتك من بعدك. قال: أتخشى على بناتي الفاقة من بعدي؟ إني أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة كل ليلة، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة « الواقعة » كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » [(١)].

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ ﴾

قوله تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾ أي: قامت القيامة، والمراد النفخة الأخيرة. وسميت واقعة لأنها تقع عن قرب. وقيل: لكثرة ما يقع فيها من الشدائد. وفيه إضمار، أي اذكروا إذا وقعت الواقعة. وقال الجرجاني: ﴿ إِذَا ﴾ صلة، أي وقعت الواقعة، كقوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، و﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: ١] وهو كما يقال: قد جاء الصوم أي دنا واقترب. وعلى الأول ﴿ إِذَا ﴾

(١) ضعيف جدًا : أخرجه ابن السنى بترقيمي في عمل اليوم والليلة (٦٨٠) ، والحارث بن أبى أسامة (١٧٨) في مسنده عن أبي طيبة عن ابن مسعود ، وهما قولان، وفي الحديث اضطراب ،وفى الحديث علل وهي :
أ ـ الانقطاع كما بينه الدارقطني .
ب ـ نكارة المتن كما ذكر أحمد .
جـ ـ ضعف رواته كما قال ابن الجوزي .
د ـ اضطرابه ، وقد أجمع على ضعفه أحمد وأبو حاتم .
وانظر: الضعيفة للألباني ـ رحمه الله (٢٨٩) .

للوقت، والجواب قوله: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٨]. ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ الكاذبة مصدر بمعنى الكذب، والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضع المصدر، كقوله تعالى: ﴿لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً﴾ [الغاشية: ١١] أي لغو، والمعنى لا يسمع لها كذب، قاله الكسائي. ومنه قول العامة: عائذا بالله أي معاذ الله، وقم قائما أي قم قياما. ولبعض نساء العرب ترقص أبنها:

قُمْ قائماً قُمْ قَائمَا أصبت عبداً نائمَا

وقيل: الكاذبة صفة والموصوف محذوف، أي ليس لوقعتها حال كاذبة، أو نفس كاذبة، أي كل من يخبر عن وقعتها صادق. وقال الزجاج: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أي لا يردها شيء. ونحوه قول الحسن وقتادة [١]. وقال الثوري: ليس لوقعتها أحد يكذب بها [٢]. وقال الكسائي أيضا: ليس لها تكذيب، أي ينبغي ألا يكذب بها أحد. وقيل: إن قيامها جد لا هزل فيه.

قوله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۝٣﴾ قال عكرمة ومقاتل والسدي: خفضت الصوت فأسمعت من دنا ورفع من نأى، يعني أسمعت القريب والبعيد [٣]. وقال السدي: خفضت المتكبرين ورفعت المستضعفين [٤]. وقال قتادة: خفضت أقواما في عذاب الله، ورفعت أقواما إلى طاعة الله [٥]. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خفضت أعداء الله في النار، ورفعت أولياء الله في الجنة[٦]. وقال محمد بن كعب: خفضت أقواما كانوا في الدنيا مرفوعين، ورفعت أقوامًا كانوا في الدنيا مخفوضين. وقال ابن عطاء: خفضت أقواما بالعدل، ورفعت آخرين بالفضل. والخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة، والعز والمهانة. ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامة توسعا ومجازا على عادة العرب في إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل، يقولون: ليل نائم ونهار صائم. وفي التنزيل: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] والخافض والرافع على الحقيقة إنما هو الله وحده، فرفع أولياءه في أعلى الدرجات، وخفض أعداءه في أسفل الدركات. وقرأ الحسن وعيسى الثقفي «خافضةٌ رافعةٌ» بالنصب. الباقون بالرفع على إضمار مبتدأ، ومن نصب فعلى الحال. وهو عند الفراء على إضمار فعل، والمعنى: إذا وقعت الواقعة، ليس لوقعتها كاذبة وقعت، خافضة رافعة. والقيامة لا شك في وقوعها، وأنها ترفع أقواما وتضع آخرين على ما بيناه.

قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا﴾ أي زلزلت وحركت عن مجاهد [٧] وغيره، يقال: رَجَّه يَرُجّه رَجًّا أي حركه وزلزله. وناقة رجاء، أي: عظيمة السنام. وفي الحديث: «من ركب البحر حين

---

(١) صحيح إلى قتادة: الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٧٤).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٧/ ١٢٠).
(٣) ضعيف: الطبري (٢٧/ ١٧٤) في تفسيره، وفي سنده إلى عكرمة ضعف، وانظر: فتح القدير للشوكاني (٧/ ١٢٠).
(٤) البغوي في تفسيره (٤/ ٧)، (٧/ ٤٥٤)، وأثر محمد بن كعب هناك، وعند أبي الشيخ في العظمة، وسعيد بن منصور، وابن المنذر كما في الدر المنثور للسيوطي (٦/ ٢١٦).
(٥) فتح القدير للشوكاني (٧/ ١٢٠)، والطبري صحيحًا بنحوه (٢٧/ ١٧٣)، وعبد الرزاق في تفسيره (٣٠٢١).
(٦) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢/ ٢٧١).
(٧) صحيح إلى مجاهد: الطبري (٢٧/ ١٤٧) ومنقطعًا من طريق الوالبي.

يرتج فلا ذمة له » [١] يعني إذا اضطربت أمواجه. قال الكلبي: وذلك أن الله تعالى إذا أوحى إليها اضطربت فرقا [٢] من الله تعالى. قال المفسرون: ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل ما عليها، وينكسر كل شيء عليها من الجبال وغيرها. وعن ابن عباس: الرجة الحركة الشديدة يسمع لها صوت. وموضع ﴿إذَا﴾ نصب على البدل من﴿ إذَا وَقَعَتِ﴾ . ويجوز أن ينتصب بـ ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ أي تخفض وترفع وقت رج الأرض وبس الجبال، لأن عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع، ويرتفع ما هو منخفض. وقيل: أي وقعت الواقعة إذا رجت الأرض، قاله الزجاج والجرجاني. وقيل: أي اذكر : ﴿إذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا ﴾ مصدر وهو دليل على تكرير الزلزلة.

قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴾ أي فتتت، عن ابن عباس [٣]. مجاهد: كما يبس الدقيق أي يلت [٤]. والبسيسة السويق أو الدقيق يلت بالسمن أو بالزيت ثم يؤكل ولا يطبخ وقد يتخذ زادا. قال الراجز:

لا تَخْبِزَا خُبْزاً وَبُسَّا بَسّا ولا تُطِيلاَ بِمُنَاخٍ حَبْسَا

وذكر أبو عبيدة : أنه لص من غطفان أراد أن يخبز فخاف أن يعجل عن ذلك فأكله عجينا. والمعنى أنها خلطت فصارت كالدقيق الملتوت بشيء من الماء. أي تصير الجبال ترابا فيختلط البعض بالبعض. وقال الحسن: ﴿ وَبُسَّتِ﴾ قلعت من أصلها فذهبت [٥]، نظيره: ﴿يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥]. وقال عطية: بسطت كالرمل والتراب. وقيل: البس السوق أي سيقت الجبال. قال أبو زيد: البس السوق، وقد بست الإبل أبسها بالضم بسا. وقال أبو عبيد: بست الإبل وأبست، لغتان إذا زجرتها وقلت لها : بس بس. وفي الحديث. « يخرج قوم من المدينة إلى اليمن والشام والعراق يبسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» [٦] ،ومنه الحديث الآخر: «جاءكم أهل اليمن يبسون عيالهم»[٧]، والعرب تقول: جيء به من حسك وبسك. ورواهما أبو زيد بالكسر، فمعنى من حسك من حيث أحسسته، وبسك من حيث بلغه مسيرك. وقال مجاهد: سألت سيلا [٨]. عكرمة: هدت هدا [٩]. محمد بن كعب: سيرت سيرا [١٠]، ومنه قول الأغلب العجلي [١١]:

---

(١) ضعيف : أحمد في المسند (٥/ ٧٩) برجال ثقات موقوفًا ومرفوعًا،وضعفه الشيخ شعيب الأرناؤوط هناك. ومعنى قوله:« يرتج » أي: يعتلي ويهيج .

(٢) فَرَقًا : بفتح الفاء والراء :خوفًا. اللسان « فرق».

(٣) ضعيف : الطبري (٢٧/ ١٧٥) في تفسيره منقطعًا ،عن علي بن أبي طلحة به.

(٤) حسن : السابق (٢٧/ ١٧٥).

(٥) فتح القدير (٧/ ١٢٠) للشوكاني .

(٦) متفق عليه: البخاري في فضائل المدينة (١٨٧٥) ،ومسلم (١٣٨٨) في الحج ،عن سفيان بن أبي هريرة ـ رضي الله عنه .

(٧) انظر السابق ،وابن الأثير في النهاية (١/ ١٢٦) .

(٨ ـ ١٠) ذكرها الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٢١٨) .

(١١) هنا بياض في الأصل ، ولم يعثر أحدٌ على قوله ،ولكن وجدته في النكت والعيون فأثبته هنا ،وهو ما وفقنا الله تعالى إليه ، انظر: النكت والعيون للماوردي من قول الأغلب العجلي(٤/ ٢١٨) ،والحمد لله على ذلك كثيراً .

نَحْنُ بسبسًا بأثر أطارًا أضاء خمسًا تمت سارًا

وقال الحسن: قطعت قطعًا. والمعنى متقارب.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ قال علي رضي الله عنه: الهبـاء الرَّهَجُ الذي يسطع من حوافر الدواب ثم يذهب، فجعل الله أعمالهم كذلك (١). وقال مجاهد: الهباء: هو الشعاع الذي يكون في الكوة كهيئة الغبار (٢). وروي نحوه عن ابن عباس. وعنه أيضا: هو ما تطاير من النار إذا اضطربت يطيـر منها شـرر فإذا وقع لم يكن شـيئـا (٣). وقـال عطية. وقـد مضى في «الفـرقان» عند قـولـه تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وقراءة العامة: ﴿ مُنْبَثًّا﴾ بالثاء المثلثة أي متفرقا من قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [لقمان: ١٠] أي فرق ونشر. وقرأ مسروق والنخعي وأبو حيوة «منبتا » بالتاء المثناة أي منقطعا من قولهم: بته الله أي قطعه، ومنه البتات.

﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ أي أصنافا ثلاثة ،كل صنف يشـاكل ما هو منه، كمـا يشاكل الزوج الزوجة، ثم بين من هم فقال: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾و﴿السَّابِقُونَ﴾، فأصحاب الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وأصحاب المشأمة هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، قاله السدي (٤).والمشأمة الميسرة وكذلك الشأمة. يقـال: قعد فلان شأمة. ويقال: يا فلان شائـم بأصحابـك، أي خذ بهم شـأمة أي ذات الشمـال. والعرب تقـول لليد الـشمال: الشـؤمى، وللجانب الشمال الأشأم. وكذلك يقال لما جاء عن اليمين اليمن، ولما جاء عن الشمال: الشؤم. وقال ابن عباس والسدي: أصحاب الميمنة هم الذين كانوا عن يمين حين أخرجت الذرية من صلبه فقال الله لهم: هؤلاء في الجنة ولا أبالي (٥).وقال زيد بن أسلم: أصحاب الميمنة هم الذين أخذوا من شق آدم الأيمن يومئذ، وأصحاب المشأمة الذين أخذوا من شق آدم الأيسر (٦). وقال عطاء ومحمد بن كعب: أصحاب الميمنة من أوتي كتابه بيمينه، وأصـحاب المشأمة من أوتي كتابه بشماله(٧).وقال ابن جريج: أصحـاب الميمنة هم أهل الحسـنات، وأصحاب المشـأمة هم أهل السيـئات(٨).وقال الحسن والربيع: أصحـاب الميمنة الميـامين على أنفسـهم بالأعمال الصـالحة،وأصحـاب المشأمـة المشائيم علي أنفـسهم بالأعمال السـيئة القبـيحة (٩). وفي «صحيح مـسلم» من حديث الإسراء عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «فلما علـونا السماء الدنيا فإذا رجل عـن يمينه أسودة وعن يساره أسودة » قال:« فـإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شمـاله بكى » قال:« فقال: مرحبا بالـنبي الصالح والابن الصالح» قال:

---

(١) ضعيف : الطبري (٢٧/ ١٧٦) من طريق الحارث الأعور ، ومحمد بن حميد وكلاهما متهم بالكذب .

(٢) صحيح إليه : الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٧٦) .

(٣) ضعيف : الطبري (٢٧/ ١٧٦) في تفسيره من طريق العوفيين به .

(٤ ـ ٩) ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٧١) .

قلت : يا جبريل من هذا ؟ قال :هذا آدم عليه السلام ، وهذه الأسودة التي عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار » (١) وذكر الحديث. وقال المبرد: وأصحاب الميمنة أصحاب التقدم، وأصحاب الشأمة أصحاب التأخر. والعرب تقول: اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك، أي اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني في المتأخرين. والتكرير في ﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ . و﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ للتفخيم والتعجيب، كقوله: ﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ٢] و﴿الْقَارِعَةُ ۝١ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ [القارعة: ٢] كما يقال: زيد ما زيد! وفي حديث أم زرع رضي الله عنها: مالك وما مالك (٢)! والمقصود تكثير ما لأصحاب الميمنة من الثواب ولأصحاب المشأمة من العقاب. وقيل: ﴿أَصْحَابُ﴾ رفع بالابتداء والخبر﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾كأنه قال: «فأصحاب الميمنة» ما هم، المعنى: أي شيء هم. وقيل: يجوز أن تكون ﴿ مَا﴾ تأكيدا، والمعنى فالذين يعطون كتابهم بأيمانهم هم أصحاب التقدم وعلو المنزلة.

قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال: « السابقون : الذين إذا أعطوا الحق قبلوه ،وإذا سئلوه بذلوه ،وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم» (٣) ذكره المهدوي. وقال محمد ابن كعب القرظي: إنهم الأنبياء (٤). الحسن وقتادة: السابقون إلى الإيمان من كل أمة (٥). ونحوه عن عكرمة(٦). محمد بن سيرين: هم الذين صلوا إلى القبلتين، دليله قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾ (٧) [التوبة: ١٠٠]. وقال مجاهد وغيره: هم السابقون إلى الجهاد، وأول الناس رواحا إلى الصلاة (٨). وقال علي رضي الله عنه: هم السابقون إلى الصلوات الخمس(٩). الضحاك: إلى الجهاد (١٠). سعيد بن جبير: إلى التوبة وأعمال البر، قال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران:١٣٣] ،ثم أثنى عليهم فقال: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (١١) [المؤمنون: ٦١]. وقيل: إنهم أربعة، منهم سابق أمة موسى وهو حزقيل مؤمن آل فرعون،وسابق أمة عيسى وهو حبيب النجار صاحب أنطاكية، وسابقان في أمة محمد ﷺ وهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ؛ قاله ابن عباس (١٢)، حكاه الماوردي. وقال شميط بن العجلان: الناس ثلاثة: فرجل ابتكر للخير في حداثة سنه داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا هو السابق المقرب،ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم طول الغفلة ثم رجع بتوبته حتى ختم له بها فهذا من أصحاب اليمين، ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها حتى ختم له بها فهذا من أصحاب الشمال. وقيل: هم كل من سبق إلى شيء من أشياء الصلاح. ثم قيل:﴿السَّابِقُونَ﴾ رفع بالابتداء والثاني توكيد له والخبر﴿ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾

(١) متفق عليه : البخاري (٣٤٩) في الصلاة ،ومسلم (١٦٣/ ٢٦٣) في الإيمان ، عن أنس عن أبي ذر به .
(٢) متفق عليه : البخاري (٥١٨٩) في النكاح ،ومسلم (٢٤٤٨) في الفضائل ، عن عائشة ـ رضي الله عنها .
(٣) ضعيف : أحمد في المسند (٦/ ٧٦) عن عائشة ـ رضي الله عنها وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف وقد تفرد به ، ورواه الديلمي (٣٥٧٦) ، في مسند الفردوس عن علي بسند ضعيف ،والتلخيص الحبير (٤/ ١٨١).
(٤ ـ ١٢) انظر : زاد المسير (٥/ ٤٧٢) ،وذكر الطبري أثر ابن سيرين من طريق محمد بن حميد هو ضعيف كما في تفسيره (٢٧/ ١٧٨) ،وابن أبي حاتم (١٢/ ٢٧٢) في تفسيره عن ابن عباس ، وزاد السيوطي في الدر عزوه إلى ابن مردويه (٦/ ٢١٧) ،وانظر: النكت والعيون للماوردي (٤/ ٢١٩) ، والبغوي (٧/ ٨، ٩) في تفسيره.

وقال الزجاج: ﴿السَّابِقُونَ﴾ رفع بالابتداء والثاني خبره، والمعنى السابقون إلى طاعة الله هم السابقون إلى رحمة الله: ﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ من صفتهم. وقيل: إذا خرج رجل من السابقين المقربين من منزله في الجنة كان له ضوء يعرفه به من دونه.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي جماعة من الأمم الماضية. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ أي ممن آمن بمحمد ﷺ. قال الحسن: ثلة ممن قد مضى قبل هذه الأمة، وقليل من أصحاب محمد ﷺ، اللهم اجعلنا منهم بكرمك (١). وسموا قليلا بالإضافة إلى من كان قبلهم لأن الأنبياء المتقدمين كثروا فكثر السابقون إلى الإيمان منهم، فزادوا على عدد من سبق إلى التصديق من أمتنا. وقيل: لما نزل هذا شق على أصحاب رسول الله ﷺ فنزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٤٠] فقال النبي ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، بل ثلث أهل الجنة، بل نصف أهل الجنة، وتقاسمونهم في النصف الثاني» (٢) رواه أبو هريرة، ذكره الماوردي وغيره. ومعناه ثابت في «صحيح مسلم» من حديث عبد الله بن مسعود (٣) وكأنه أراد أنها منسوخة والأشبه أنها محكمة لأنها خبر، ولأن ذلك في جماعتين مختلفتين. قال الحسن: سابقوا من مضى أكثر من سابقينا، ولذلك قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ وقال في أصحاب اليمين وهم سوى السابقين: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٤٠] ولذلك قال النبي ﷺ: «إني لأرجو أن تكون أمتي شطر أهل الجنة» (٤) ثم تلا قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾[الواقعة: ٤٠] قال مجاهد: كُلٌّ من هذه الأمة. وروى سفيان عن أبان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «الثلتان جميعا من أمتي» (٥)، يعني ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٤٠]. وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. قال أبو بكر رضي الله عنه: كلا الثلتين من أمة محمد ﷺ، فمنهم من هو في أول أمته، ومنهم من هو في آخرها، وهو مثل قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]. وقيل: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي من أول هذه الأمة. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ يسارع في الطاعات حتى يلحق درجة الأولين، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «خيركم قرني»(٦)، ثم سوى في أصحاب اليمين بين الأولين والآخرين. والثلة من ثللت الشيء أي قطعته، فمعنى ثلة كمعنى فرقة؛ قاله الزجاج.

---

(١) بنحوه عند ابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٩٤).

(٢) ضعيف: الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٢٢٠)، والهيثمي في المجمع (٧/ ١١٨) وعزاه لأحمد، وفيه راويان مجهولان.

(٣) صحيح: وقد سبق

(٤) في إسناده نظر: كذلك قال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٩٥)، وله طرق كثيرة.

(٥) ضعيف: ابن عدي (١/ ٣٨٧) في الكامل، والهيثمي في المجمع (٧/ ١١١)، وفيه علي بن زيد بن جدعان، وعزاه للطبراني وهو ضعيف لسوء حفظه.

(٦) متفق عليه: وقد سبق في الصحيحين.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ أي السابقون في الجنة ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾، أي مجالسهم على سرر جمع سرير. ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾ قال ابن عباس: منسوجة بالذهب (١). وقال عكرمة: مشبكة بالدر والياقوت(٢). وعن ابن عباس أيضا: ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾ مصفوفة (٣)، كما قال في موضع آخر: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطور: ٢٠]. وعنه أيضا وعن مجاهد: مرمولة بالذهب (٤). وفي التفاسير ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾ أي منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد - والوضن النسج المضاعف والنضد، يقال: وضن فلان الحجر والآجر بعضه فوق بعض فهو موضون، ودرع موضونة أي محكمة في النسج مثل مصفوفة.

قال الأعشى:

وَمِن نَسْجِ دَاوُدَ مَوضُونَة تُسَاقُ مع الحيِّ عِيراً فَعِيرَا

وقال أيضا:

وبَيْضَاء كالنَّهْيِ مَوْضُونَة لها قَوْنَسٌ فوقَ جَيْبِ البَدَنْ

والسرير الموضون: الذي سطحه بمنزلة المنسوج، ومنه الوضين: بطان من سيور ينسج فيدخل بعضه في بعض، ومنه قوله:

إليكَ تَعْدُو قَلقاً وَضِينُها

﴿مُّتَّكِينَ عَلَيْهَا﴾ أي: على السرر ﴿مُّتَقَابِلِينَ﴾ أي لا يرى بعضهم قفا بعض، بل تدور بهم الأسرة، وهذا في المؤمن وزوجته وأهله، أي يتكئون متقابلين. قاله مجاهد وغيره(٥). وقال الكلبي: طول كل سرير ثلاثمائة ذراع، فإذا أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت فإذا جلس عليها ارتفعت(٦).

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۝٢٣ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۝٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي غلمان لا يموتون؛ قاله مجاهد (٧). الحسن والكلبي: لا يهرمون ولا يتغيرون (٨)، ومنه قول امرئ القيس:

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢/ ٢٧٢)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير(٥/ ٤٧٣) من طريق مجاهد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما .

(٢) حسن : وإن كان في سند الطبري (محمد بن حميد) وذكره في تفسيره (٢٧/ ١٧٩).

(٣) ضعيف : للانقطاع بين علي بن أبي طلحة ،وابن عباس ـ رضي الله عنهما . السابق (٢٧/ ١٧٩)

(٤) صحيح إلى مجاهد : السابق (٢٧/ ١٧٩). ومرمولة: مزينة .

(٥) انظر: السابق (٢٧/ ١٨٠) .

(٦) لم أجد لهذا الآثر سندًا .

(٧) صحيح إلى مجاهد : الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٨٠) .

(٨) انظر: فتح القدير (٧/ ١٢٣) للشوكاني ، والبغوي (٨/ ٩٠) في تفسيره، والبحر (٨/ ٢٠٥) لأبي حيان .

وهَلْ يَنْعَمَنْ إلاّ سَعِيدٌ مُخَلَّدٌ قَلِيلُ الْهُمُومِ ما يَبِيتُ بِأَوجَالِ

وقال سعيد بن جبير: مخلدون مقرطون[١]، يقال للقُرْط: الخَلَدة ولجماعة الحُلي الخِلْدَة. وقيل: مسورون ونحوه عن الفراء، قال الشاعر:

ومخلَّداتٌ باللُّجينِ كَأَنَّمَا أَعْجَازُهُنَّ أَقاوزُ الْكُثْبَانِ

وقيل: مقرطون يعني ممنطقون من المناطق. وقال عكرمة: ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ منعمون[٢]. وقيل: على سن واحدة أنشأهم الله لأهل الجنة يطوفون عليهم كما شاء من غير ولادة. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن البصري: الولدان ها هنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا ولا حسنة لهم ولا سيئة[٣]. وقال سلمان الفارسي: أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة[٤]. قال الحسن: لم يكن لهم حسنات يجزون بها، ولا سيئات يعاقبون عليها، فوضعوا في هذا الموضع[٥].

والمقصود: أن أهل الجنة على أتم السرور والنعمة، والنعمة إنما تتم باحتفاف الخدم والولدان بالإنسان. ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ أكوابٌ جمع كُوب، وقد مضى في «الزخرف»[٦]، وهي الآنية التي لا عرى لها ولا خراطيم، والأباريق التي لها عرى وخراطيم واحدها إبريق، سمي بذلك لأنه يبرق لونه من صفائه. ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ مضى في «والصافات» القول فيه. والمعين: الجاري من ماء أو خمر، غير أن المراد في هذا الموضع الخمر الجارية من العيون. وقيل: الظاهرة للعيون فيكون ﴿مَّعِينٍ﴾ مفعولا من المعاينة. وقيل: هو فعيل من المَعْنِ وهو الكثرة. وبين أنها ليست كخمر الدنيا التي تستخرج بعصر وتكلف ومعالجة.

قوله تعالى: ﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنهَا﴾ أي لا تنصدع رؤوسهم من شربها، أي إنها لذة بلا أذى بخلاف شراب الدنيا. ﴿وَلاَ يُنزِفُونَ﴾ تقدم في «والصافات» أي لا يسكرون فتذهب عقولهم. وقرأ مجاهد: «لا يَصَّدَّعُون» بمعنى لا يتصدعون أي لا يتفرقون، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]. وقرأ أهل الكوفة ﴿يُنْزِفُونَ﴾ بكسر الزاي[٧]، أي لا ينفد شرابهم ولا تفنى خمرهم، ومنه قول الشاعر:

لَعَمْرِي لَئِنْ أَنْزَفْتُم أو صَحَوْتُمُ لَبِئْسَ النَّدَامَى كُنتمُ آلَ أَبْجَرَا

وروى الضحاك عن ابن عباس قال: في الخمر أربع خصال: السُّكْر، والصُّداع، والقيء، والبول، وقد ذكر الله تعالى خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال[٨].

قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ أي يتخيرون ما شاؤوا لكثرتها. وقيل: وفاكهة متخيرة مرضية، والتخير الاختيار. ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ روى الترمذي عن أنس بن مالك قال:

---

(١) فتح القدير (٧/ ١٢٣) للشوكاني، والبغوي (٨/ ٩٠) في تفسيره، والبحر المحيط (٨/ ٢٠٥) لأبي حيان.

(٢) فتح القدير للشوكاني (٧/ ١٢٣).

(٣، ٥) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٧٣).

(٤) وقد روى مرفوعًا من حديث أنس وفيه ضعف، وقد رواه أحمد كما عند الهيثمي في المجمع(٧/ ٢١٩)، والله أعلم بصحة هذه الأمور.

(٦) عند الآية (٧١).

(٧) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٦٦).

(٨) منقطع: بين الضحاك وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ الطبري (٢٧/ ١٨١).

سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر ؟ قال: «ذاك نهـر أعطانيه الله تعالى - يعني في الجنة - أشـد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجـزُر» قال عمر: إن هذه لناعمة،قال رسول الله ﷺ: « آكلها أحسن منهـا » قال: حديث حسن(١) . وخرجه الثعلبي من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: « إن في الجنة طيـرا مثل أعناق البخت تصـطف على يد ولي الله فيقـول أحدها: يا ولي الله رعيت في مروج تحت العرش ،وشربت من عيـون التسنيم، فكل مني فلا يزلن يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبـه أكل أحدها فتخر بين يديه على ألوان مـختلفة، فيأكل منهـا ما أراد ،فإذا شبع تجمع عظام الطـائر فطار يرعى في الجنة حيث شاء» فقال عـمر: يا نبي الله إنها لناعمـة. فقال: «أكلها أنعم منها»(٢) . وروي عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: « إن في الجنة لطيرا في الطائر منها سبعون ألف ريشة فيقع على صـحفة الرجل من أهل الجنة ثم ينتفض، فيخرج من كل ريشة لون طعام أبيض من الثلج ،وأبرد وألين من الزبد، وأعذب من الشهد ،ليس فيـه لون يشبه صاحبه فيأكل منه ما أراد ثم يذهب فيطير» (٣) .

قوله تـعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قرئ بالرفع والـنصب والجر (٤)، فمن جـر وهو حمـزة والكسائي وغيـرهما جاز أن يكون مـعطوفا على ﴿ بِأَكْوَابٍ ﴾ وهو محـمول على المعنى، لأن المعنى يتنعـمون بأكواب وفاكهة ولحم وحور؛ قـاله الزجاج. وجاز أن يكون معطوفا على ﴿جَنَّاتِ﴾ أي هم في ﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ وفي حور على تقدير حذف المضاف، كأنه قال: وفي مـعاشرة حور. الفراء: الجر على الإتباع في اللفظ وإن اختلفا في المعنى، لأن الحور لا يطاف بهن، قال الشاعر:

إذا ما الغانياتُ بَرَزْنَ يوماً وزَجَّجْنَ الحَواجِبَ والْعُيونَا

والعين لا تزجج وإنما تكحل. وقال آخر:

ورأيتُ زَوْجَكِ في الوغَى مُتَقَلِّداً سَيْفاً ورُمْحَا

وقال قطرب: هو معطوف على الأكواب والأباريق من غير حمل على المعنى. قال: ولا ينكر أن يطاف عليهم بالحور ويكون لهم في ذلك لذة. ومن نصب وهو الأشهب العقيلي والنخعي وعيسى بن عمر الثـقفي وكذلك هو في مصحف أبي،فهـو على تقدير إضمار فعل، كأنه قـال: ويزوجون حورا عينا. والحـمل في النصب على المعنى أيضا حـسن، لأن معنى يطاف عليـهم به: يعطونه. ومن رفع وهم الجمهـور - وهو اختيار أبي عـبيد وأبي حاتم - فعلى مـعنى وعندهم حور عين، لأنه لا يطاف عليهم بالحور. وقال الكسائي: ومن قال: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ بالرفع وعلل بأنه لا يطاف بهن يلزمه ذلك في فاكهة ولحم، لأن ذلك لا يطاف به وليس يطاف إلا بالخمـر وحدها. وقال الأخفش : يجوز أن يكون محـمولا على المعنى لأن المعنى لهم أكـواب ولهم حـور عين. وجاز أن يكون مـعطوفا على ﴿ ثُلَّةٌ ﴾

(١) حسن : الترمذي(٢٥٤٢) في صفة الجنة ،وحسنه الألباني هناك .

(٢) ضعيف : ابن عدي (٦/ ٢٠٤١) ومرويات الثعلبي عامتها ضعيفة .

(٣) ضعيف جدًا : هناد في الزهد (١/ ١٠٠) ،وفيه عبيد الله بن الوليـد الرصاص، وعطية العوفى وهما ضعيفان ، وضعفه ابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٩٩) .

(٤) القراءة بالرفع والخفض: قراءة متواترة: تقريب النشر(ص١٧٨) .

و﴿ ثُلَّةٌ ﴾ ابتداء وخبره ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾ وكذلك ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ وابتدأ بالنكرة لتخصيصها بالصفة. ﴿كَأَمْثَالِ﴾ أي مثل أمثال ﴿ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ أي الذي لم تمسه الأيدي ولم يقع عليه الغبار فهو أشد ما يكون صفاء وتلألؤا، أي هن في تشاكل أجسادهن في الحسن من جميع جوانبهن كما قال الشاعر:

كأَنَّمَا خُلِقَتْ في قِشْرِ لُؤْلُؤَةٍ فَكُلُّ أَكْنَافِها وَجْهٌ لِمرْصادِ

﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي ثوابا ونصبه على المفعول له. ويجوز أن يكون على المصدر، لأن معنى ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ يجازون. وقد مضى الكلام في الحور العين في «والطور»[١] وغيرها. وقال أنس: قال النبي ﷺ: «خلق الله الحور العين من الزعفران» [٢]، وقال خالد بن الوليد: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الرجل من أهل الجنة ليمسك التفاحة من تفاح الجنة فتنفلق في يده فتخرج منها حوراء لو نظرت للشمس لأخجلت الشمس من حسنها من غير أن ينقص من التفاحة» فقال له رجل: يا أبا سليمان إن هذا لعجب ولا ينقص من التفاحة؟ قال: نعم كالسراج الذي يوقد منه سراج آخر وسُرج ولا ينقص، والله على ما يشاء قدير [٣]. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: خلق الله الحور العين من أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران، ومن ركبتيها إلى ثدييها من المسك الأذفر، ومن ثدييها إلى عنقها من العنبر الأشهب، ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض، عليها سبعون ألف حلة مثل شقائق النعمان، إذا أقبلت يتلألأ وجهها نورا ساطعا كما تتلألأ الشمس لأهل الدنيا، وإذا أدبرت يرى كبدها من رقة ثيابها وجلدها، في رأسها سبعون ألف ذؤابة من المسك الأذفر، لكل ذؤابة منها وصيفة ترفع ذيلها وهي تنادي: هذا ثواب الأولياء ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٤] [السجدة: ١٧].

قوله تعالى: ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً ﴾ قال ابن عباس: باطلا ولا كذبا [٥]. واللغو: ما يلغى من الكلام، والتأثيم مصدر أثمته أي قلت له: أثمت. محمد بن كعب: ﴿ وَلا تَأْثِيماً﴾ أي لا يؤثم بعضهم بعضا. مجاهد: ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً ﴾ شتما ولا مأثما [٦]. ﴿ إِلاَّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً﴾ ﴿قِيلاً﴾ منصوب بـ ﴿ يَسْمَعُونَ﴾ أو استثناء منقطع أي لكن يقولون: قيلا أو يسمعون. و﴿سَلاماً سَلاماً﴾ منصوبان بالقول، أي إلا أنهم يقولون الخير. أو على المصدر أي إلا أن يقول بعضهم لبعض: سلاما. أو يكون وصفًا لـ ﴿قِيلاً﴾ ، والسلام الثاني بدل من الأول، والمعنى إلا قيلا يسلم فيه من اللغو. ويجوز الرفع على تقدير سلام عليكم. قال ابن عباس: أي يحيي بعضهم بعضا. وقيل: تحييهم الملائكة أو يحييهم ربهم عز وجل.

---

(١) عند الآية (٢٠).

(٢) ضعيف: ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٨٤٠).

(٣) لم أقف عليه فيما بين يدى من مصادر، وأغلب الظن أنه موضوع، والله أعلم.

(٤) ضعيف: عزاه المناوي في فيض القدير (٣/ ٤٤٩) لابن الملقن في شرح البخاري.

(٥، ٦) سبق تخريجهما.

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ رجع إلى ذكر منازل أصحاب اليمنة وهم السابقون على ما تقدم، والتكرير لتعظيم شأن النعيم الذي هم فيه. ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ أي في نبق قد خضد شوكه أي قطع [١]، قاله ابن عباس وغيره. وذكر ابن المبارك: حدثنا صفوان عن سليم بن عامر قال: كان أصحاب النبي ﷺ يقولون: إنه لينفعنا الأعراب ومسائلهم، قال: أقبل أعرابي يوما، فقال: يا رسول الله ﷺ لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها؟ قال رسول الله ﷺ: «وما هي؟» قال: السدر فإن له شوكا مؤذيا، فقال ﷺ: «و ليس يقول ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فإنها تنبت ثمرا يفتق الثمر منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما فيه لون يشبه الآخر» [٢]. وقال أبو العالية والضحاك: نظر المسلمون إلى وج - وهو واد بالطائف مخصب - فأعجبهم سدره، فقالوا: يا ليت لنا مثل هذا، فنزلت [٣]. قال أمية بن أبي الصلت يصف الجنة:

إنّ الحدائقَ في الجِنانِ ظليلةٌ ... فيها الْكَواعِبُ سِدْرُها مَخْضودُ

وقال الضحاك ومجاهد ومقاتل بن حيان: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ وهو الموقر حملا [٤]. وهو قريب مما ذكرنا في الخبر. سعيد بن جبير: ثمرها أعظم من القلال. وقد مضى هذا في سورة « النجم » عند قوله تعالى: ﴿ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ١٤]، وأن ثمرها مثل قلاق هَجَر من حديث أنس عن النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ الطلح: شجر الموز واحده طلحة؛ قاله أكثر المفسرين: علي وابن عباس وغيرهم [٥]. وقال الحسن: ليس هو موز ولكنه شجر له ظل بارد رطب. وقال الفراء وأبو

(١) ضعيف: الطبري (٢٧/ ١٨٦) من طريقين: الأول عن الوالبي، والثاني من طريق العوفيين فهو ضعيف.

(٢) حسن: حسنه المنذري في الترغيب والترهيب(٤/ ٣٨٣، ٣٨٤)، وعزاه لابن أبي الدنيا.

قلت: وقد قال: ورواه أيضًا عن سليم بن عامر، عن أبي أمامة الباهلي وهذا هو الصحيح كما رواه الحاكم (٣٧٧٨) وذلك لأن سليمًا الراجح أنه لم يدرك النبي ﷺ أو سمع منه.

وذكره ابن أبي داود في البعث(٧٠) بنحوه من طريق ابن المبارك.

(٣) مرسل: هكذا رواه السيوطي (ص٣٩٦) في اللباب، وعزاه لسعيد بن منصور في سننه، والبيهقي في البعث مرسلاً، دون ذكر وادى (وجّ).

وذكره الواحدى (ص٣٤٣) بلا سند في لباب النقول، وزاد السيوطي في الدر (٦/ ٢٢١) عزوه إلى ابن المنذر وعبد بن حميد، عن مجاهد به، وذكره الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٨٨) مرسلا بسند صحيح، عن مجاهد.

(٤) فيه انقطاع: بين الطبري وشيخه كما في تفسيره (٢٧/ ١٨٧)، وهو صحيح إلى مجاهد.

(٥) الرواية عن ابن عباس ضعيفه ففيها أبو سعيد الرقاش ضعيف لجهالته، وقال ابن حبان: يخطئ.

والطبري في تفسيره (٢٧/ ١٨٧) وهو ضعيف جدًا عن علي، ففي إسناده الكلبي معروف حاله من الكذب.

عبيدة: شجر عظام له شوك، قال بعض الحداة وهو الجعدي:

بَشَّرَهَا دَلِيلُها وقَالاَ غداً تَرَينَ الطَّلْحَ والأَحْبَالاَ

فالطلح: كل شجر عظيم كثير الشوك. الزجاج: يجوز أن يكون في الجنة وقد أزيل شوكه. وقال الزجاج أيضا: كشجر أم غيلان له نور طيب جدا فخوطبوا ووعدوا بما يحبون مثله، إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا. وقال السدي: طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن له ثمر أحلى من العسل. وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه « طلع منضود» بالعين وتلا هذه الآية: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء: ١٤٨] وهو خلاف المصحف. وفي رواية أنه قرئ بين يديه ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ فقال: ما شأن الطلح؟ إنما هو «وطلع منضود » ثم قال: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق: ١٠] فقيل له: أفلا نحولها ؟ فقال: لا ينبغي أن يهاج القرآن ولا يحول. فقد اختار هذه القراءة ولم ير إثباتها في المصحف لمخالفة ما رَسْمُهُ مجمع عليه؛ قاله القشيري. وأسنده أبو بكر الأنباري قال: حدثني أبي قال حدثنا الحسن بن عرفة ،حدثنا عيسى بن يونس عن مجالد عن الحسن بن سعد عن قيس بن عباد قال: قرأت عند علي أو قرئت عند علي شك مجالد :﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ فقال علي رضي الله عنه: ما بال الطلح؟ أما تقرأ « وطلع » ثم قال: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق: ١٠] فقال له: يا أمير المؤمنين أنحكها من المصحف؟ فقال: لا ،لا يهاج القرآن اليوم (١). قال أبو بكر: ومعنى هذا أنه رجع إلى ما في المصحف وعلم أنه هو الصواب، وأبطل الذي كان فرط من قوله. والمنضود : المتراكب الذي قد نضد أوله وآخره بالحمل، ليست له سوق بارزة بل هو مرصوص، والنضد هو الرص والمنضد المرصوص، قال النابغة:

خَلَّتْ سَبِيل أَتِيٍّ كان يَحْبِسُهُ ورَفَّعَتْهُ إِلى السِّجْفَيْنِ فالنضَدِ

وقال مسروق: أشجار الجنة من عروقها إلى أفنانها نضيدة ثمر كله، كلما أكل ثمرة عاد مكانها أحسن منها (٢).

قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ أي دائم باق لا يزول ولا تنسخه الشمس، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: ٤٥] وذلك بالغداة وهي ما بين الإسفار إلى طلوع الشمس حسب ما تقدم بيانه هناك. والجنة كلها ظل لا شمس معه. قال الربيع بن أنس: يعني ظل العرش(٣). وقال عمر بن ميمون: مسيرة سبعين ألف سنة (٤). وقال أبو عبيدة: تقول العرب للدهر الطويل والعمر الطويل والشيء الذي لا ينقطع: ممدود، وقال لبيد:

---

(١) ضعيف جدًا لا يصح: فيه مجالد ، وهو ابن سعيد ليس بالقوى ، وذكره الطبري من طريقه أيضًا كما في تفسيره (٢٧/ ١٨٧) ، وذكره ابن الأنبارى كما في كنز العمال (٢/ ٥١٩) .

وقال الطيبي : رواية غير صحيحة ، وكيف يقر أمير المؤمنين ـ كرّم الله وجهه ـ تحريفًا في كتاب الله تعالى المتداول بين الناس ؟ أو يظن بأن نقلة القرآن الكريم ورواته وكُتّابه تعمدوا ذلك أو غفلوا عنه ؟ هذا والله تعالى قد تكفله بحفظه . سبحانك هذا بهتان عظيم .

وانظر: روح المعانى للآلوسي ـ رحمه الله (٢٧/ ١٤١).

(٢) البغوي في تفسيره (٨/ ١٢) ، وزاد المسير (٥/ ٤٧٥) لابن الجوزي .

(٣) هذا غريب ولا سند له .

(٤) حسن إليه: كذا عند الطبري (٢٧/ ١٨٩) في تفسيره.

غَلَبَ الْعَزَاء وكنتُ غيرَ مُغَلَّبٍ دَهرٌ طويلٌ دائمٌ مَمْدودُ

وفي صحيح الترمذي وغيره من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾» (١). ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ أي جار لا ينقطع وأصل السكب الصَّبُّ، يقال: سَكَبَهُ سَكْبًا، والسُّكُوب انصبابه. يقال: سَكَبَ سُكُوبا، وانْسَكَبَ انْسِكَاباً، أي وماء مصبوب يجرى الليل والنهار في غير أخدود لا ينقطع عنهم. وكانت العرب أصحاب بادية وبلاد حارة، وكانت الأنهار في بلادهم عزيزة لا يصلون إلى الماء إلا بالدَّلو والرِّشاء فوعدوا في الجنة خلاف ذلك، ووصف لهم أسباب النزهة المعروفة في الدنيا، وهي الأشجار وظلالها والمياه والأنهار واطرادها.

قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ أي ليست بالقليلة العزيزة كما كانت في بلادهم ﴿لا مَقْطُوعَةٍ﴾ أي في وقت من الأوقات كانقطاع فواكه الصيف في الشتاء ﴿وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ أي لا يحظر عليها كثمار الدنيا. وقيل: ﴿وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ أي لا يمنع من أرادها بشوك ولا بعد ولا حائط، بل إذا اشتهاها العبد دنت منه حتى يأخذها، قال الله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ [الإنسان: ١٤]. وقيل: ليست مقطوعة بالأزمان، ولا ممنوعة بالأثمان. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ روى الترمذي عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ قال: «ارتفاعها لكما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة» قال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد (٢). وقال بعض أهل العلم في تفسير هذا الحديث: الفُرُشُ في الدرجات، وما بين الدرجات كما بين السماء والأرض. وقيل: إن الفرش هنا كناية عن النساء اللواتي في الجنة ولم يتقدم لهن ذكر، ولكن قوله عز وجل: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ دال، لأنها محل النساء، فالمعنى ونساء مرتفعات الأقدار في حسنهن وكمالهن، دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ أي خلقناهن خلقا وأبدعناهن إبداعا. والعرب تسمي المرأة فراشا ولباسا وإزارا، وقد قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]. ثم قيل: على هذا هن الحور العين، أي خلقناهن من غير ولادة. وقيل: المراد نساء بني آدم، أي خلقناهن خلقا جديدا وهو الإعادة، أي أعدناهن إلى حال الشباب وكمال الجمال. والمعنى أنشأنا العجوز والصبية إنشاء واحدا، وأضمرن ولم يتقدم ذكرهن، لأنهن قد دخلن في أصحاب اليمين، ولأن الفرش كناية عن النساء كما تقدم. وروي عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ قال: «منهن البكر والثيب» (٣). وقالت أم سلمة رضي الله تعالى عنها: سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾ فقال: «يا أم سلمة هن اللواتي

(١) متفق عليه: البخاري (٤٨٨١) في التفسير، ومسلم (٢٨٢٦) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، والترمذي (٢٥٢٣) في صفة الجنة، و(٣٢٩٢) في تفسير القرآن، واللفظ له

(٢) ضعيف: الترمذي (٥٠٤٠) في صفة الجنة، وفي تفسير القرآن (٣٢٩٤)، وضعفه الألباني وعلته (رشدين بن سعد) وفيه رواية دراج، عن أبي الهيثم وهي ضعيفة.

(٣) ضعيف: الطبري (٢٧/ ١٩٢) في تفسيره، والهيثمي في المجمع (٧/ ١١٩) وعزاه للطبراني، وفي إسناده جابر الجعفي، وهو ضعيف.

قبضن في الدنيا عجائز شمطا عمشا رمصا ، جعلهن الله بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد في الاستواء»(١) ، وأسنده النحاس عن أنس قال: حدثنا أحمد بن عمرو قال: حدثنا عمرو بن على قال: حدثنا أبو عاصم عن موسى بن عبيد عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رفعه ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ قال : «هن العجائز العمش الرمص كن في الدنيا عمشا رمصا » (٢).

وقال المسيب بن شريك: قال النبي ﷺ في قوله: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ الآية قال: «هن عجائز الدنيا أنشأهن الله خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا » فلما سمعت عائشة ذلك قالت: واوجعاه! فقال لها النبي ﷺ: «ليس هناك وجع » (٣). ﴿ عُرُبًا ﴾ جمع عروب. قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : العرب العواشق لأزوجهن (٤) . وعن ابن عباس أيضا : إنها العروب الملقة (٥). عكرمة: الغنجة (٦). ابن زيد: بلغة أهل المدينة (٧). ومنه قول لبيد:

وفي الخِبَاءِ عَرُوبٌ غيرُ فاحِشةٍ رَيَّا الروادِفِ يَعْشَى دُونَها البصرُ

وهي الشَّكِلَةُ بلغة أهل مكة. وعن زيد بن أسلم أيضا: الحسنة الكلام (٨). وعن عكرمة أيضا وقتادة: العُرُبُ المتحببات إلى أزواجهن (٩)، واشتقاقه من أعرب إذا بين، فالعروب تبين محبتها لزوجها بشكل وغنج وحسن كلام. وقيل: إنها الحسنة التبعل (١٠) لتكون ألذ استمتاعا. وروى جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ عُرُبًا﴾ قال: «كلامهن عربي» (١١). وقرأ

---

(١) ضعيف : الطبري (٢٧/ ١٩٣) في تفسيره ، والهيثمي (٧/ ١١٩) في المجمع وعزاه للطبراني .
قلت : وفي سنده : سليمان بن أبي كريمة وهو ضعيف .
والشمط : الشيب . النهاية(٢/ ٥٠١) لابن الأثير. والعمش : استمرار سيلان الدمع من العين مع ضعف الرؤية. اللسان« عمش» . والرمص: وسخ العين ولونه أبيض رطب. النهاية (٢/ ٢٦٣) لابن الأثير .
(٢) ضعيف جدًا إن لم يكن موضوعًا : وإسناد مظلم ، ففيه موسى بن عبيدة وهو الربذي متهم ، وفيه يزيد الرقاشي، وهو ضعيف ، ورواه الطبري (٢٧/ ١٩٢) في تفسيره ، والترمذي (٣٢٩٦) في تفسير القرآن، وضعفه الألباني هناك.
(٣) ضعيف : ذكره الحافظ (٤/ ٤٦١) في تخريج الكشاف وعزاه للثعلبي ، وذكره البغوي (٨/ ١٤) في تفسيره موقوفًا .
(٤) منقطع : بين ابن عباس وابن أبي طلحة ، ورواه الطبري عن الحسن ، وعن الأوزاعي ، وانظر: تفسير الطبري (٢٧/ ١٩٣، ١٩٤) .
(٥) حسن : السابق (٢٧/ ١٩٣) من طريق عكرمة به .
(٦) حسن بمجموع طرقه إلى عكرمة : السابق (٢٧/ ١٩٤).
(٧) صحيح إليه : السابق (٢٧/ ١٩٥) .
(٨) كذا عند الطبري (٢٧/ ١٩٤) وفيه أسامة بن زيد بن أسلم ، عن أبيه وهو ضعيف .
(٩) صحيح إلى قتادة : الطبري (٢٧/ ١٩٥).
(١٠) كذا عن تميم بن حذلم كما في السابق (٢٧/ ١٩٤) .
والتبعل : الطاعة للزوج والمحبة له. اللسان « بعل ».
(١١) ضعيف : ابن أبي حاتم في تفسيره كما نقله عنه ابن كثير(٧/ ٤٠٦) ، وفي سنده سهل بن عثمان وهو أبو مسعود العسكري ثقة يغرب ، ورواه السيوطي مرسلاً كما في الدر (٦/ ٢٢٦) وليس فيه ذكر علي ـ رضي الله عنه .

حمزة وأبو بكر عن عاصم« عُرُبًا » (١) بإسكان الراء. وضم الباقون وهما جائزان في جمع فعول. على ميلاد واحد في الاستواء وسن واحدة ثلاث وثلاثين سنة. يقال في النساء: أتراب، وفي الرجال: أقران. وكانت العرب تميل إلى من جاوزت حد الصبا من النساء وانحطت عن الكبر. وقيل: ﴿أَتْرَابًا﴾ أمثالا وأشكالا ؛قاله مجاهد (٢). السدي: أتراب في الأخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد(٣). ﴿لأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ قيل: الحور العين للسابقين، والأتراب العرب لأصحاب اليمين.

قوله تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴿٤٠﴾﴾ رجع الكلام إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ أي هم ﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴿٤٠﴾﴾ وقد مضى الكلام في معناه. وقال أبو العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك: ﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ﴾ يعني من سابقي هذه الأمة ﴿وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ من هذه الأمة من آخرها (٤)، يدل عليه ما روي عن ابن عباس في هذه الآية ﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ فقال النبي ﷺ: « هم جميعا من أمتي» (٥). وقال الواحدي: أصحاب الجنة نصفان : نصف من الأمم الماضية ،ونصف من هذه الأمة (٦). وهذا يرده ما رواه ابن ماجه في سننه والترمذي في جامعه عن بريدة بن حصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف: ثمانون منها من هذه الأمة ، وأربعون من سائر الأمم » . قال أبو عيسى: هذا حديث حسن(٧). و﴿ ثُلَّةٌ ﴾ رفع على الابتداء، أو على حذف خبر الصفة، ومجازه: لأصحاب اليمين ثلتان: ثلة من هؤلاء ،وثلة من هؤلاء ، والأولون الأمم الماضية، والآخرون هذه الأمة على القول الثاني.

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ ذكر منازل أهل النار وسماهم أصحاب الشمال، لأنهم يأخذون كتبهم بشمائلهم، ثم عَظَّمَ ذكرهم في البلاد والعذاب فقال: ﴿مَا أَصْحَابُ

(١) قراءة سبعية متواترة : تقريب النشر (ص٩٢) .
(٢، ٣) انظر: زاد المسير بنحوه (٥/ ٤٧٦) لابن الجوزي، ورواه الطبري في تفسيره صحيحًا إلى مجاهد (٢٧/ ١٩٦).
(٤) سبق ، وانظر: الطبري (٢٧/ ١٩٦) في تفسيره .
(٥) ضعيف: وقد سبق .
(٦) لم أقف عليه في أسباب النزول .
(٧) حسن : الترمذي في صفة الجنة (٢٥٤٦) ، وابن ماجه (٤٢٨٩) في الزهد، وصححه الألباني ،ورواه أحمد في المسند ، والدارمي(٢٨٣٥) في سننه ، كتاب الرقاق .

الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ ﴾ والسَّمُومُ: الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن. والمراد هنا حر النار ولفحها. ﴿وَحَمِيمٍ ﴾ أي ماء حار قد انتهى حره، إذا أحرقت النار أكبادهم وأجسادهم فزعوا إلى الحميم، كالذي يفزع من النار إلى الماء ليطفئ به الحر فيجده حميما حارا في نهاية الحرارة والغليان. وقد مضى في« القتال»: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]. ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ أي يفزعون من السموم إلى الظل كما يفزع أهل الدنيا فيجدونه ظلا من يحموم، أي من دخان جهنم أسود شديد السواد. عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما (١). وكذلك اليحموم: في اللغة: الشديد السواد وهو يفعول من الحم وهو الشحم المسود باحتراق النار. وقيل: هو المأخوذ من الحمم وهو الفحم. وقال الضحاك: النار سوداء وأهلها سود وكل ما فيها أسود (٢). وعن ابن عباس أيضا: النار سوداء (٣). وقال ابن زيد: اليحموم: جبل في جهنم يستغيث إلى ظله أهل النار (٤). ﴿لا بَارِدٍ﴾ بل حار لأنه من دخان شفير جهنم. ﴿وَلا كَرِيمٍ﴾ عَذْب، عن الضحاك (٥). وقال سعيد بن المسيب: ولا حسن منظره، وكل ما لا خير فيه فليس بكريم (٦). وقيل: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾أي من النار يعذبون بها، كقوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦]. ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ أي إنما استحقوا هذه العقوبة لأنهم كانوا في الدنيا متنعمين بالحرام. والمترف المنعم، عن ابن عباس وغيره(٧). وقال السدي: ﴿ مُتْرَفِينَ﴾ أي مشركين (٨). ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾ أي يقيمون على الشرك، عن الحسن والضحاك وابن زيد (٩). وقال قتادة ومجاهد: الذنب العظيم الذي لا يتوبون منه(١٠). الشعبي: هو اليمين الغموس وهي من الكبائر، يقال: حنث في يمينه أي لم يرها ورجح فيها (١١). وكانوا يقسمون أن لا بعث، وأن الأصنام أنداد الله فذلك حنثهم، قال الله تعالى مخبرا عنهم: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨] ، وفي الخبر: كان يتحنث في حراء، أي يفعل ما يسقط عن نفسه الحنث وهو الذنب. ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا ﴾ هذا استبعاد منهم لأمر البعث وتكذيب له. فقال الله تعالى: ﴿ قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿إِنَّ الأَوَّلِينَ﴾ من آبائكم ﴿وَالآخِرِينَ﴾ منكم ﴿ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ يريد يوم القيامة. ومعنى الكلام القسم ودخول اللام في قوله تعالى: ﴿ لَمَجْمُوعُونَ﴾ هو دليل القسم في المعنى، أي إنكم لمجموعون قسما حقا خلاف قسمكم الباطل ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ﴾ عن الهدى ﴿ الْمُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث ﴿ لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ وهو شجر كريه المنظر، كريه الطعم، وهي التي ذكرت في سورة «والصافات» (١٢). ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ أي من الشجرة، لأن المقصود من الشجر شجرة. ويجوز أن تكون ﴿ مِن﴾ الأولى زائدة ،ويجوز أن يكون المفعول محذوفا كأنه قال: ﴿لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ طعاما. وقوله: ﴿ مِّن زَقُّومٍ﴾ صفة لشجر،

(١ ـ ١١) ذكرها الطبري (٢٧/ ١٩٩ ، ٢٠٠) ،في تفسيره ،والسيوطي في الدر (٦/ ٢٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير(٥/ ٤٧٧) ،والبغوي (٨/ ٨٨ ، ١٩) في تفسيره .

قلت : والإسناد إلى ابن عباس في قوله (دخان جهنم) حسن بمجموع طرقه وشواهده وفي بعضها انقطاع ـ كما ذكرها الطبري (٢٧/ ١٩٩) ، وقوله :(متنعمين) منقطع بينه وبين علي بن أبي طلحة ، كما عند الطبري (٢٧/ ١٩٩) .

(١٢) عند الآية (٦٢)

والصفة إذا قدرت الجار زائدا نصبت على المعنى، أو جررت على اللـفظ، فإن قدرت المفعول محذوفا لم تكن الصفة إلا في موضع جر.

قوله تعالى: ﴿ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ ﴾ أي على الزقوم أو على الأكل أو على الشجر، لأنه يذكر ويؤنث. ﴿ مِنَ الْحَمِيمِ ﴾ وهو الماء المغلي الذي قد اشتد غليـانه وهو صديد أهل النار. أي يورثهم حر ما يأكلون من الزقوم مع الجوع الشديد عطشا فيشربون ماء يظنون أنه يزيل العطش فيجدونه حميما مغليا.

قوله تعالى: ﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾ قراءة نافع وعـاصم وحمزة ﴿شُرْبَ ﴾بضم الشين. الباقون بفتحها لغتان جيدتان، تقول العرب: شَرِبْتُ شُرْبًا وَشَرْبًا وشِرِبًا وشُرُبًا بضمتين. قال أبو زيد: سمعت العرب تقول بضم الشـين وفتحها وكسـرها، والفتح هو المصدر الصحـيح، لأن كل مصدر من ذوات الثلاثة فـأصله فعل، ألا ترى أنك ترده إلى المرة الواحدة، فـتقول: فَعْلة نحـو شَرْبة وبالضم الاسم. وقيل: إن المفتوح والاسم مـصدران، فالشرب كالأكل، والشرب كالذكـر، والشرب بالكسر المشروب كالطحن المطحون. والهيم: الإبل العطاش التي لا تروى لداء يصيبـها، عن ابن عباس وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم[١]، وقال عكرمة أيضا: هي الإبل المراض [٢]. الضحاك: الهيم الإبل يصـيبها داء تعطش منه عطشا شديدا [٣]، واحدها أهيم والأنثى هيماء. ويقال لذلك: الداء الهيام، قال قيس بن الملوح:

يُقال بِه داءُ الـهُيَامِ أصابه وقد عَلِمت نَفْسي مكَانَ شِفائها

وقوم هِيْمٌ أيضا أي عطاش، وقـد هاموا هياما. ومن العرب من يـقول في الإبل: هائم وهائمة والجمع هيم، قال لبيد:

أَجَزْتُ إلى معارِفِها بِشُعْثٍ وأَطْلَاحٍ مِن العِيدِيِّ هِيم

وقال الضحاك والأخفش وابن عيينة وابن كيسان: الهيم الأرض السهلة ذات الرمل [٤].

وروي أيضا عن ابن عـباس: فيشربون شـرب الرمال التي لا تروى بالماء [٥]. المهدوي: ويقال لكل مـا لا يروى من الإبل والرمل: أهيم وهيـماء. وفي الصـحاح: والهُـيام بالضم أشـد العطش. والهيام كالجنون من العشق. والهُيام: داء يأخذ الإبل فتهيم في الأرض لا ترعى. يقال: ناقة هيماء. والهيـماء أيضا المفـازة لا ماء بها. والهـيام بالفتح: الرمل الذي لا يتـماسك أن يسيـل من اليد للينه والجمع هيم مـثل قذال. والهِيام بالـكسر الإبل العطاش الواحد هيمـان، وناقـة هيماء مـثل عطشان وعطشى.

قوله تعالى: ﴿ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ أي رزقهم الذي يعد لهم، كالنزل الذي يعد للأضياف تكرمة لهم، وفيه تهكم، كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] وكقول أبي السعد الضبي:

(١، ٢) ضعـيف إلى ابن عباس: الطـبري (٢٧/ ٢٠٢) في تفسـيره من طريق العوفى، ومن طريـق ابن أبي طلحة الوالبي منقطعًا، وهو صحيح إلى عكرمة، وقتادة، وانظر: البغوي في تفسيره (٨/ ١٩).

(٣) منقطع: بين الطبري وشيخه الحسين. السابق (٢٧/ ٢٠٣).

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٨/ ١٩).

(٥) ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٧٧).

وكنا إذا الْجَبَّارُ بالجيشِ ضَافَنَا جعلنا القَنَا والمرهفاتِ له نُزْلاَ

وقرأ يونس بن حبيب وعباس عن أبي عمرو « هذا نُزُلُهُمْ » بإسكان الزاي، وقد مضى في آخر «آل عمران» [1] القول فيه. ﴿ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ يوم الجزاء، يعني في جهنم.

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَـٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ ﴾ أي فهلا تصدقون بالبعث؟ لأن الإعادة كالابتداء. وقيل: المعنى نحن خلقنا رزقكم فهلا تصدقون أن هذا طعامكم إن لم تؤمنوا ؟﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴾ أي ما تصبونه من المني في أرحام النساء. ﴿ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ ﴾ أي تصورون منه الإنسان ﴿ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ المقدرون المصورون. وهذا احتجاج عليهم وبيان للآية الأولى، أي إذا أقررتم بأنا خالقوه لا غيرنا فاعترفوا بالبعث. وقرأ أبو السمال ومحمد بن السميقع وأشهب العقيلي: « تَمْنُونَ» بفتح التاء وهما لغتان أمْنَى ومَنَى، وأمْذَى ومَذَى يُمنِي ويَمْنِي ويُمْذِي ويَمْذِي. الماوردي: ويحتمل أن يختلف معناهما عندي، فيكون أمنى إذا أنزل عن جماع، ومنى إذا أنزل عن الاحتلام. وفي تسمية المني منيا وجهان: أحدهما لإمنائه وهو إراقته. الثاني: لتقديره، ومنه المنا الذي يوزن به لأنه مقدار لذلك، وكذلك المني مقدار صحيح لتصوير الخلقة.

قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ ﴾ احتجاج أيضا، أي الذي يقدر على الإماتة يقدر على الخلق، وإذا قدر على الخلق قدر على البعث. وقرأ مجاهد وحميد وابن محيصن وابن كثير « قَدَرْنا» بتخفيف الدال[2]. الباقون بالتشديد، قال الضحاك: أي سوينا بين أهل السماء وأهل الأرض[3]. وقيل: قضينا. وقيل: كتبنا، والمعنى متقارب، فلا أحد يبقى غيره عز وجل. ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ أي إن أردنا أن نبدل أمثالكم لم يسبقنا أحد، أي لم يغلبنا. ﴿ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ معناه بمغلوبين. ﴿ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ ﴾ ،وقال الطبري [4]: المعنى نحن قدرنا بينكم الموت ﴿ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ ﴾ بعد موتكم بآخرين من جنسكم، ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ في آجالكم، أي لا يتقدم متأخر ولا يتأخر متقدم. ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ من الصور والهيئات. قال الحسن: أي نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بأقوام قبلكم [5]. وقيل: المعنى ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا، فيجعل المؤمن ببياض وجهه، ويقبح الكافر بسواد وجهه. سعيد بن جبير: قوله تعالى: ﴿ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ يعني في حواصل

(١) عند الآية (٩٨) .

(٢) قراءة متواترة : تقريب النشر (ص ١٧٨) .

(٣) ضعيف : ذكره ابن الجوزي في زاد المسير بغير عزو (٥/ ٤٧٨) ،وهو عند أبي الشيخ في العظمة (٢/ ٥٢٥) من طريق جُوَيْبر عن الضحاك ، وهو إسناد تالف .

(٤) (٢٧/ ٢٠٣، ٢٠٤) .

(٥) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٢١١) ، والبغوي في تفسيره (٨/ ٢٠) .

طير سود تكون ببرهوت : كأنها الخطاطيف ، وبرهوت : واد في اليمن [1] . وقال مجاهد: ﴿فِي مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ في أي خلق شئنا [2] . وقيل: المعنى ننشئكم في عالم لا تعلمون، وفي مكان لا تعلمون.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى ﴾ أي إذ خلقتم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ولم تكونوا شيئا، عن مجاهد[3] وغيره . قتادة والضحاك : يعني خلق آدم عليه السلام [4] . ﴿ فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ﴾ أي فهلا تذكرون . وفي الخبر: عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو لا يسعى لدار القرار. وقراءة العامة ﴿النَّشْأَةَ ﴾ بالقصر. وقرأ مجاهد والحسن وابن كثير وأبو عمرو « التشاءة » بالمد [5] ، وقد مضى في « العنكبوت» بيانه[6] .

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾ هذه حجة أخرى، أي أخبروني عما تحرثون من أرضكم فتطرحون فيها البذر، أنتم تنبتونه وتحصلونه زرعا فيكون فيه السنبل والحب أم نحن نفعل ذلك؟ وإنما منكم البذر وشق الأرض، فإذا أقررتم بأن إخراج السنبل من الحب ليس إليكم، فكيف تنكرون إخراج الأموات من الأرض وإعادتهم؟! وأضاف الحرث إليهم والزرع إليه تعالى؛ لأن الحرث فعلهم ويجري على اختيارهم، والزرع من فعل الله تعالى وينبت على اختياره لا على اختيارهم. وكذلك ما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يقولن أحدكم زرعت، وليقل حرثت، فإن الزارع هو الله» [7] قال أبو هريرة: ألم تسمعوا قول الله تعالى: ﴿ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ والمستحب لكل من يلقي البذر في الأرض أن يقرأ بعد الاستعاذة: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾ الآية، ثم يقول: بل الله الزارع والمنبت والمبلغ، اللهم صلي على محمد، وارزقنا ثمره، وجنبنا ضرره، واجعلنا لأنعمك من الشاكرين، ولآلائك من الذاكرين، وبارك لنا فيه يا رب العالمين[8] . ويقال: إن هذا القول أمان لذلك الزرع من جميع الآفات: الدود والجراد وغير ذلك، سمعناه من ثقة وجرب فوجد كذلك. ومعنى ﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ أي تجعلونه زرعا. وقد يقال: فلان زراع كما يقال: حراث، أي يفعل ما يؤول إلى أن يكون زرعا يعجب الزراع. وقد يطلق لفظ الزرع على بذر الأرض وتكريبها تجوزا.

قلت: فهو نهي إرشاد وأدب لا نهي حظر وإيجاب، ومنه قوله عليه السلام: «لا يقولن أحدكم:

---

(١) زاد المسير (٥/ ٤٧٨) لابن الجوزي ، وعزاه البغوي (٨/ ٢٠) في تفسيره لسعيد بن المسيب .

(٢ ،٣) صحيحان إليه : الطبري (٢٧/ ٢٠٤) في تفسيره .

(٤) صحيح إلى قتادة : السابق (٢٧/ ٢٠٥) .

(٥) قراءة متواترة : تقريب النشر (ص١٥٨) .

(٦) عند الآية (٢٠) .

(٧) صحيح : صححه الألباني (٢٨٠١) في الصحيحة من رواية الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٠٥) ،والبزار (١٢٨٩)، وابن حبان (٥٦٩٣) إحسان كلهم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه به.

(٨) هذا مما لا سند له ،وانظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤١٠) .

عبدي وأمتي، وليقل: غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي» [١] ،وقد مضى في « يوسف» القول فيه[٢]. وقد بالغ بعض العلماء فقال: لا يقل: حرثت فأصبت، بل يقل: أعانني الله فحرثت،وأعطاني بفضله ما أصبت. قال الماوردي [٣]: وتتضمن هذه الآية أمرين: أحدهما: الامتنان عليهم بأن أنبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروه على نعمته عليهم. الثاني: البرهان الموجب للاعتبار، لأنه لما أنبت زرعهم بعد تلاشي بذره، وانتقال إلى استواء حال من العفن والتتريب حتى صار زرعا أخضر، ثم جعله قويا مشتدا أضعاف ما كان عليه، فهو بإعادة من أمات أخف عليه وأقدر، وفي هذا البرهان مقنع لذوي الفطر السليمة. ثم قال: ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾ أي متكسرا يعني الزرع. والحطام: الهشيم الهالك الذي لا ينتفع به في مطعم ولا غذاء، فنبه بذلك أيضا على أمرين: أحدهما: ما أولاهم به من النعم في زرعهم إذ لم يجعله حطاما ليشكروه. الثاني: ليعتبروا بذلك في أنفسهم، كما أنه يجعل الزرع حطاما إذا شاء وكذلك يهلكهم إذا شاء ليتعظوا فينزجروا. ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ أي تعجبون بذهابها وتندمون مما حل بكم، قاله الحسن وقتادة وغيرهما [٤]. وفي الصحاح: وتفكه أي تعجب، ويقال: تندم، قال الله تعالى: ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ أي تندمون. وتفكهت بالشيء تمتعت به. وقال يمان: تندمون على نفقاتكم، دليله: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٤٢] ،وقال عكرمة: تلاومون وتندمون على ما سلف منكم من معصية الله التي أوجبت عقوبتكم حتى نالتكم في زرعكم [٥]. ابن كيسان: تحزنون [٦]، والمعنى متقارب. وفيه لغتان: تَفَكَّهُونَ وتَفَكَّنُونَ. قال الفراء: والنون لغة عُكْل. وفي الصحاح: التفكن: التندم على ما فات. وقيل: التفكه: التكلم فيما لا يعنيك،ومنه قيل للمزاج: فكاهة بالضم، فأما الفَكَاهة بالفتح فمصدر فَكِهَ الرجل بالكسر فهو فَكِهٌ إذا كان طيب النفس مزاحا. وقراءة العامة ﴿ فَظَلْتُمْ ﴾ بفتح الظاء. وقرأ عبد الله « فَظِلْتُمْ » بكسر الظاء ورواها هارون عن حسين عن أبي بكر. فمن فتح فعلى الأصل. والأصل «ظللتم» فحذف اللام الأولى تخفيفا، ومن كسر نقل كسرة اللام الأولى إلى الظاء ثم حذفها. ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾وقرأ أبو بكر والمفضل: « أئنا »[٧] بهمزتين على الاستفهام، ورواه عاصم عن زر بن حبيش. الباقون بهمزة واحدة على الخبر، أي يقولون: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾ أي معذبون، عن ابن عباس وقتادة قالا: والغرام :العذاب،ومنه قول ابن المحلم:

وثقت بأنَّ الحِفْظَ منّي سَجيّةٌ وأنَّ فؤادي مُتْبَلٌ بك مُغْرَمُ

وقال مجاهد وعكرمة: لمولع بنا، ومنه قول النمر بن تولب:

سَلاَ عن تَذكُّره تُكْتَمَا وكان رَهيناً بها مُغْرَمَا

يقال: أغرم فلان بفلانة، أي أولع بها ومنه الغرام وهو الشر اللازم. وقال مجاهد أيضا: لملقون

(١) متفق عليه : وقد سبق تخريجه في الصحيحين .
(٢) عند الآية (٤٢) .
(٣) النكت والعيون للماوردي (٥/ ٤٦٠) .
(٤) صحيح إلى قتادة : الطبري (٢٧/ ٢٠٥) في تفسيره .
(٥) حسن بطريقيه : السابق (٢٧/ ٢٠٥، ٢٠٦) ،والبغوي في تفسيره (٨/ ٢٠) .
(٦) تفسير البغوي (٨/ ٢٠) .
(٧) قراءة متواترة : تقريب النشر (ص٢٥) .

شرا. وقال مقاتل بن حيان: مهلكون. النحاس: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ مأخوذ من الغرام وهو الهلال، كما قال:

يومُ النِّسَارِ ويومُ الجِفَا رِ كَانَا عَذَاباً وكانَا غَرَامَا

الضحاك وابن كيسان: هو من الغرم [١]، والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض، أي غرمنا الحَبَّ الذي بذرناه. وقال مرة الهمداني: محاسبون. ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي حرث ما طلبنا من الريع. والمحروم الممنوع من الرزق. والمحروم ضد المرزوق وهو المحارف في قول قتادة. وعن أنس أن النبي ﷺ مر بأرض الأنصار فقال: «ما يمنعكم من الحرث؟» قالوا: الجدوبة، فقال: «لا تفعلوا، فإن الله تعالى يقول أنا الزارع إن شئت زرعت بالماء، وإن شئت زرعت بالريح، وإن شئت زرعت بالبذر» ثم تلا ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [٢].

قلت: وفي هذا الخبر والحديث الذي قبله ما يصحح قول من أدخل الزارع في أسماء الله سبحانه، وأباه الجمهور من العلماء، وقد ذكرنا ذلك في الكتاب «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» [٣].

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ لتحيوا به أنفسكم، وتسكنوا به عطشكم، لأن الشراب إنما يكون تبعا للمطعوم، ولهذا جاء الطعام مقدما في الآية قبل، ألا ترى أنك تسقي ضيفك بعد أن تطعمه. الزمخشري: ولو عكست قعدت تحت قول أبي العلاء:

إذا سُقِيَتْ ضُيوفُ الناسِ مَحْضاً سَقَوْا أضيافَهمْ شَبِماً [٤] زُلاَلاَ

وسُقي بعض العرب فقال: أنا لا أشرب إلا على ثميلة. ﴿أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ أي السحاب، الواحدة مزنة، فقال الشاعر:

فنحنُ كماءِ الْمُزْنِ ما في نِصَابِنَا كَهَامٌ ولا فينا يُعَدُّ بَخِيلُ

وهذا قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما: أن المزن السحاب [٥]. وعن ابن عباس أيضا والثوري: المزن السماء والسحاب [٦]. وفي الصحاح: أبو زيد: المُزنةُ: السحابة البيضاء والجمع مُزْنٌ، والمزنة المطرة، قال [أوس بن حجر]:

ألم تَرَ أن الله أنزَلَ مُزْنَةً وعُفْرُ الظِّبَاءِ في الكِنَاسِ تَقَمَّعُ

(١) تفسير البغوي (٨/ ٢١) ط ـ دار طيبة ـ السعودية.
(٢) ذكره ابن عادل في تفسير اللباب (١٥/ ٩٩) نقلاً عن المصنف ولا سند له، فهو ضعيف.
(٣) لم أقف عليه عنده كما قال ـ رحمه الله.
(٤) الشبم: البرد. اللسان «شبم».
(٥) صحيح إلى مجاهد: الطبري (٢٧/ ٢٠٧) في تفسيره.
(٦) ضعيف إلى ابن عباس: السابق (٢٧/ ٢٠٧) من طريق العوفيين.

﴿ أم نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ أي فإذا عرفتم بأني أنزلته فلم لا تشكروني بإخلاص العبادة لي؟ ولم تنكرون قدرتي على الإعادة ؟﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾ أي ملحا شديد الملوحة، قاله ابن عباس[1]. الحسن: مرا قعاعا لا تنتفعون به في شرب ولا زرع ولا غيرهما[2]. ﴿فَلَوْلا تَشْكُرُونَ ﴾أي فهلا تشكرون الذي صنع ذلك بكم.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ أي أخبروني عن النار التي تظهرونها بالقدح من الشجر الرطب ﴿ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ يعني التي تكون منها الزناد وهي المَرْخُ والعَفَارُ، ومنه قولهم: في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار، أي استكثر منهما، كأنهما أخذا من النار ما هو حسبهما. ويقال: لأنهما يسرعان الوري. يقال: أوريت النار إذا قدحتها. ووَرَى الزَّنْد يَري إذا انقدح منه النار. وفيه لغة أخرى: ووري الزند يري بالكسر فيهما. ﴿ أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ أي المخترعون الخالقون، أي فإذا عرفتم قدرتي فاشكروني ولا تنكروا قدرتي على البعث. ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً ﴾ يعني نار الدنيا موعظة للنار الكبرى؛ قاله قتادة. ومجاهد: تبصرة للناس من الظلام. وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم» فقالوا: يا رسول الله: أن كانت لكافية، قال: «فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها »[3]. ﴿وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ قال: الضحاك: أي منفعة للمسافرين[4]، سموا بذلك لنزولهم القوى وهو القَفْر. الفراء: إنما يقال للمسافرين: مُقْوين إذا نزلوا القِيّ وهي الأرض القَفْر التي لا شيء فيها. وكذلك القَوَى والقَوَاء بالمد والقصر، ومنزل قواء لا أنيس به، يقال: أقوت الدارُ وقَويت أيضا أي خلت من سكانها، قال النابغة:

يا دارَ مَيَّةَ بالْعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ أَقْوَتْ وطال عَليها سَالفُ الأَمَدِ

وقال عنترة:

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعد أُمِّ الْهَيْثَمِ

ويقال: أقوى أي قَوِي وقَوِي أصحابه، وأقوى إذا سافر ،أي نزل القواء والقِي. وقال مجاهد: ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ المستمتعين بها من الناس أجمعين في الطبخ والخبز والاصطلاء والاستضاءة، ويتذكر بها نار جهنم فيستجار بالله منها[5]. وقال ابن زيد: للجائعين في إصلاح طعامهم[6]. يقال: أقويت منذ كذا وكذا، أي ما أكلت شيئا، وبات فلان القواء وبات القفر إذا بات جائعا على غير طعم، قال الشاعر:

---

(١) كذا في تفسير البغوي (٨/ ٢١) .

(٢) انظر: السابق(٨/ ٢١) ،القعاع : الماء المر الغليظ. اللسان«قعع».

(٣) متفق عليه: البخارى (٣٢٦٥) في بدء الخلق ، ومسلم (٢٨٤٣) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه .

وقول مجاهد وقتادة صحيح : كذا عند الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٠٨) .

(٤) منقطع: السابق (٢٧/ ٢٠٩) .

(٥) صحيح إليه : السابق (٢٧/ ٢٠٩) .

(٦) حسن : السابق (٢٧/ ٢٠٩) .

وإني لأختار القَوَى طَاوِيَ الحَشَى ... محافظةً من أنْ يقالَ لئيمُ

وقال الربيع والسدي: ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾ المنزلين الذين لا زناد معهم، يعني نارا يوقدون فيختبزون بها. ورواه العوفي عن ابن عباس. وقال قطرب: المُقْوي من الأضداد يكون بمعنى الفقير ويكون بمعنى الغني، يقال: أقوى الرجل إذا لم يكن معه زاد، وأقوى إذا قويت دوابه وكثر ماله. المهدوي: والآية تصلح للجميع، لأن النار يحتاج إليها المسافر والمقيم والغني والفقير. وحكى الثعلبي: أن أكثر المفسرين على القول الأول. القشيري: وخص المسافر بالانتفاع بها لأن انتفاعه بها أكثر من منفعة المقيم، لأن أهل البادية لا بد لهم من النار يوقدونها ليلا لتهرب منهم السباع، وفي كثير من حوائجهم.

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي فنزه الله عما أضافه إليه المشركون من الأنداد، والعجز عن البعث.

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ ﴾

فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ «لا» صلة في قول أكثر المفسرين، والمعنى فأقسم، بدليل قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ﴾. وقال الفراء: هي نفي، والمعنى ليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف ﴿أُقْسِمُ﴾. وقد يقول الرجل: لا والله ما كان كذا فلا يريد به نفي اليمين، بل يريد به نفي كلام تقدم. أي ليس الأمر كما ذكرت، بل هو كذا. وقيل: «لا» بمعنى «إلا» للتنبيه كما قال [امرؤ القيس]:

ألا عِمْ صَبَاحًا أيُّهَا الطَّلَلُ البالي

ونبه بهذا على فضيلة القرآن ليتدبروه، وأنه ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما زعموا. وقرأ الحسن وحميد وعيسى بن عمر: «فلأُقْسِمُ» بغير ألف بعد اللام على التحقيق وهو فعل حال ويقدر مبتدأ محذوفاً، التقدير: فلأنا أقسم بذلك. ولو أريد به الاستقبال للزمت النون، وقد جاء حذف النون مع الفعل الذي يراد به الاستقبال وهو شاذ.

الثانية: قوله تعالى: ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ مواقع النجوم: مساقطها ومغاربها في قول قتادة وغيره. عطاء بن أبي رباح: منازلها. الحسن: انكدارها وانتثارها يوم القيامة. الضحاك: هي الأنواء التي كان أهل الجاهلية يقولون إذا مطروا قالوا: مطرنا بنوء كذا. الماوردي: ويكون قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ مستعملا على حقيقته من نفي القسم. القشيري: هو قسم، ولله تعالى أن يقسم بما يريد، وليس لنا أن نقسم بغير الله تعالى وصفاته القديمة. قلت: يدل على هذا قراءة الحسن «فَلأُقْسِمُ» وما أقسم به سبحانه من مخلوقاته في غير موضع من كتابه. وقال ابن عباس: المراد بمواقع النجوم نزول القرآن نجوما، أنزله الله تعالى من اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السفرة الكاتبين، فنجمه السفرة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على محمد - عليهما الصلاة والسلام - عشرين سنة، فهو ينزل على الأحداث من أمته، حكاه الماوردي عن ابن عباس والسدي [1]. وقال أبو بكر الأنباري: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا حجاج بن المنهال، حدثنا همام عن الكلبي عن أبي صالح عن

---

(١) سبق أن هذا الكلام لا يستقيم مع النص القرآني لعدم وجود نص صريح به.

obeikandi.com

ابن عبـاس قال: نزل القرآن إلى سـماء الدنيا جملة واحـدة، ثم نزل إلى الأرض نجوما، وفـرق بعد ذلك خمس آيات خمس آيات وأقل وأكثـر، فذلك قول الله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [١] وحكى الفراء عن ابن مسعود أن مواقع النجوم هو محكم القرآن [٢]. وقرأ حمزة والكسائي «بموقع» [٣] على التوحيد، وهي قراءة عبد الله بن مسعود والنخعي والأعمش وابن محيصن ورويس عن يعقوب. الباقون على الجمع، فمن أفرد فلأنه اسم جنس يؤدي الواحد فيه عن الجمع، ومن جمع فلاختلاف أنواعه.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ قيل: إن الهاء تعود على القرآن، أي إن القرآن لقسم عظيم؛ قاله ابن عباس وغيره [٤]. وقيل: ما أقسم الله به عظيم ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ ذكر المقسم عليه، أي أقسم بمواقع النجوم إن هذا القرآن قرآن كريم، ليس بسحر ولا كهانة، وليس بمفترى، بل هو قرآن كريم محمود، جعله الله تعالى معجزة لنبيه ﷺ، وهو كريم على المؤمنين، لأنه كلام ربهم، وشفاء صدورهم، كريم على أهل السماء، لأنه تنزيل ربهم ووحيه. وقيل: ﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴾ أي غير مخلوق. وقيل: ﴿كَرِيمٌ﴾ لما فيه من كريم الأخلاق ومعاني الأمور. وقيل: لأنه يكرم حافظه، ويعظم قارئه.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ مصون عند الله تعالى. وقيل: مكنون محفوظ عن الباطل. والكتاب هنا كتاب في السماء؛ قاله ابن عباس [٥]. وقال جابر بن زيد وابن عباس أيضا: هو اللوح المحفوظ [٦]. عكرمة: التوراة والإنجيل فيهما ذكر القرآن ومن ينزل عليه [٧]. السدي: الزبور [٨]. مجاهد وقتادة: هو المصحف الذي في أيدينا [٩].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ اختلف في معنى ﴿ لَا يَمَسُّهُ ﴾ هل هو حقيقة في المس بالجارحة أو معنى؟ وكذلك اختلف في ﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾ من هم؟ فقال أنس وسعيد وابن جبير: لا يمس ذلك الكتاب إلا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة [١٠]. وكذا قال أبو العالية وابن زيد: إنهم الذين طهروا من الذنوب كالرسل من الملائكة والرسل من بني آدم، فجبريل النازل به مطهر، والرسل الذين يجيئهم بذلك مطهرون [١١]. الكلبي: هم السفرة الكرام البررة [١٢]. وهذا كله قول واحد، وهو نحو ما اختاره مالك حيث قال: أحسن ما سمعت في قوله: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ أنها بمنزلة الآية التي في ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾: ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٦] يريد أن المطهرين هم الملائكة الذين وصفوا بالطهارة في سورة «عبس». وقيل: معنى: ﴿لا يَمَسُّهُ ﴾ لا ينزل به ﴿إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ أي الرسل من الملائكة على الرسل من الأنبياء. وقيل: لا يمس اللوح المحفوظ الذي هو الكتاب المكنون إلا الملائكة المطهرون. وقيل: إن إسرافيل هو الموكل بذلك، حكاه القشيري. ابن العربي: وهذا باطل لأن الملائكة لا تناله في وقت ولا تصل إليه بحال، ولو كان المراد به ذلك لما كان للاستثناء فيه مجال. وأما من قال: إنه الذي بأيدي الملائكة في الصحف

---

(١) ضعيف جدًا: وهو أضعف الأسانيد إلى ابن عباس ففيه الكلبي، وأبو صالح.

(٢) هذا كلام لا يستقيم أيضًا ولا سند له.

(٣) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٧٨).

(٤ - ١٢) تفسير البغوي (٨/ ٢١)، وتفسير الطبري (٢٧/ ٢١٢، ٢١٣).

فهو قول محتمل، وهو اختيار مالك. وقيل: المراد بالكتاب المصحف الذي بأيدينا، وهو الأظهر. وقد روى مالك وغيره: أن كتاب عمرو بن حزم الذي كتبه له رسول الله ﷺ ونسخته: «من محمد النبي إلى شرحبيل بن عبد كلال والحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال قَيْل ذي رعين ومعافر وهمدان أما بعد» وكان في كتابه: «ألا يمس القرآن إلا طاهر» (١). وقال ابن عمر: قال النبي ﷺ: «لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر» (٢). وقالت أخت عمر لعمر عند إسلامه وقد دخل عليها ودعا بالصحيفة: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ فقام واغتسل وأسلم (٣). وقد مضى في أول سورة «طه».

وعلى هذا المعنى قال قتادة وغيره: ﴿لا يَمَسُّهُ﴾ من الأحداث والأنجاس. الكلبي: من الشرك. الربيع بن أنس: من الذنوب والخطايا. وقيل: معنى ﴿لا يَمَسُّهُ﴾ لا يقرؤه ﴿إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ إلا الموحدون؛ قاله محمد بن فضيل وعبدة. قال عكرمة: كان ابن عباس ينهي أن يُمكَّنَ أحد من اليهود والنصارى من قراءة القرآن. وقال الفراء: لا يجد طعمه ونفعه وبركته إلا المطهرون، أي المؤمنون بالقرآن. ابن العربي: وهو اختيار البخاري، قال النبي ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربّا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا» (٤). وقال الحسين بن الفضل: لا يعرف تفسيره وتأويله إلا من طهره الله من الشرك والنفاق. وقال أبو بكر الوراق: لا يوفق للعمل به إلا السعداء. وقيل: المعنى لا يمس ثوابه إلا المؤمنون. ورواه معاذ عن النبي ﷺ. ثم قيل: ظاهر الآية خبر عن الشرع، أي لا يمسه إلا المطهرون شرعا، فإن وجد خلاف ذلك فهو غير الشرع، وهذا اختيار القاضي أبي بكر بن العربي. وأبطل أن يكون لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر. وقد مضى هذا المعنى في سورة «البقرة». المهدوي: يجوز أن يكون أمرا وتكون ضَمةُ السين ضَمةَ إعراب. ويجوز أن يكون نهيا وتكون ضَمةُ السين ضَمةَ بناء والفعل مجزوم.

السادسة: واختلف العلماء في مس المصحف على غير وضوء، فالجمهور على المنع من مسه لحديث عمرو بن حزم. وهو مذهب علي وابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعطاء والزهري والنخعي والحكم وحماد، وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي. واختلفت الرواية عن أبي حنيفة، فروي عنه أنه يمسه المحدث، وقد روي هذا عن جماعة من السلف منهم ابن عباس والشعبي وغيرهما. وروي عنه أنه يمس ظاهره وحواشيه وما لا مكتوب فيه، وأما الكتاب فلا يمسه إلا طاهر. ابن العربي(٥): وهذا إن سلمه مما يقوي الحجة عليه، لأن حريم الممنوع ممنوع. وفيما كتبه النبي ﷺ لعمرو بن حزم أقوى دليل عليه. وقال مالك: لا يحمله غير طاهر بعلاقة ولا على وسادة. وقال أبو حنيفة: لا بأس بذلك. ولم يمنع من حمله بعلاقة أو مسه بحائل. وقد روي عن الحكم وحماد وداود بن علي: أنه لا بأس بحمله ومسه للمسلم والكافر طاهرا أو محدثا، إلا أن داود قال:

---

(١) صحيح: مالك في الموطأ مرسلاً (١/ ١٩٩)، وصححه الألباني بشواهده في الإرواء (١٢٢).

(٢) صحيح: الدارقطني (١/ ٢١) في سننه.

(٣) ضعيف: وقد سبق.

(٤) صحيح: مسلم (٣٤/ ٥٦) في الإيمان.

(٥) أحكام القرآن (٤/ ١٧٣٩) للقاضي ابن العربي المالكي.

لا يجوز للمشرك حمله. واحتجوا في إباحة ذلك بكتاب النبي ﷺ إلى قيصر، وهو موضع ضرورة فلا حجة فيه. وفي مس الصبيان إياه على وجهين: أحدهما: المنع اعتبارا بالبالغ. والثاني الجواز، لأنه لو منع لم يحفظ القرآن، لأن تعلمه حال الصغر، ولأن الصبي وإن كانت له طهارة إلا أنها ليست بكاملة، لأن النية لا تصح منه، فإذا جاز أن يحمله على غير طهارة كاملة جاز أن يحمله محدثا.

السابعة: قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي منزل، كقولهم: ضَرْبُ الأمير ونَسْجُ اليمن. وقيل: ﴿تَنزِيلٌ﴾ صفة لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾. وقيل: أي هو تنزيل.

﴿أَفَبِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ أي مكذبون؛ قاله ابن عباس وعطاء وغيرهما (١). والمدهن الذي ظاهره خلاف باطنه، كأنه شبه بالدُّهن في سهولة ظاهره. وقال مقاتل ابن سليمان وقتادة: مدهنون كافرون (٢)، نظيره: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]. وقال المؤرج: المدهن: المنافق أو الكافر الذي يلين جانبه ليخفي كفره، والإدهان والمداهنة التكذيب والكفر النفاق، وأصله اللين، وأن يُسِرَّ خلاف ما يظهر، وقال أبو قيس بن الأسلت:

الحَزْمُ والْقُوَّةُ خيرٌ مِنَ الإدهانِ والفَهَّةِ والهَاعِ

وأدهن وداهن واحد. وقال قوم: داهنت بمعنى واريت وأدهنت بمعنى غششت. وقال الضحاك: ﴿مُّدْهِنُونَ﴾ معرضون (٣). مجاهد: ممالئون الكفار على الكفر به (٤). ابن كيسان: المدهن الذي لا يعقل ما حق الله عليه ويدفعه بالعلل (٥). وقال بعض اللغويين: مدهنون تاركون للجزم في قبول القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال ابن عباس: تجعلون شكركم التكذيب (٦). وذكر الهيثم بن عدي: أن من لغة أزد شنوءة: ما رزق فلان؟ أي ما شكره. وإنما صلح أن يوضع اسم الرزق مكان شكره، لأن شكر الرزق يقتضي الزيادة فيه فيكون الشكر رزقا على هذا المعنى. فقيل: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي شكر رزقكم الذي لو وجد منكم لعاد رزقا لكم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ بالرزق أن تضعوا الرزق مكان الشكر، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥] أي لم يكونوا يصلون ولكنهم كانوا يصفرون ويصفقون مكان الصلاة. ففيه بيان أن ما أصاب العباد من خير فلا ينبغي أن يروه من قبل الوسائط التي جرت العادة بأن تكن أسبابًا، بل ينبغي أن يروه من قبل الله تعالى، ثم يقابلونه بشكر إن كان نعمة، أو صبر إن كان مكروها تعبدا له وتذللا. وروي عن علي بن

(١) ضعيف: الطبري (٢٧/ ٢١٤) في تفسيره من طريق العوفيين، وهو قول الضحاك أيضًا.
(٢) كذا عند البغوي في تفسيره (٨/ ٢٤).
(٣ ـ ٥) انظر: السابق (٨/ ٢٤).
(٦) رواه الطبري من طريقين: ضعيف، وهو طريق العوفيين، وبإسناد صحيح عن سعيد بن جبير عنه به، وانظر: الطبري (٢٧/ ٢١٥) في تفسيره.

أبي طالب رضى الله عنه أن النبي ﷺ قرأ: «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون»(١) حقيقة . وعن ابن عباس أيضا: أن المراد به الاستسقاء بالأنواء، وهو قول العرب: مطرنا بنوء كذا، رواه علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ. وفي «صحيح مسلم» عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: « أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة الله وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا»، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾[الواقعة: ٧٥] حتى بلغ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢).

وعنه أيضا : أن النبي ﷺ خرج في سفر فعطشوا فقال النبي ﷺ « أرأيتم أن دعوت الله لكم فسقيتم لعلكم تقولون: هذا المطر بنوء كذا » فقالوا : يا رسول الله ما هذا بحين الأنواء. فصلى ركعتين ودعا ربه فهاجت ريح ثم هاجت سحابة فمطروا، فمر النبي ﷺ ومعه عصابة من أصحابه برجل يغترف بقدح له وهو يقول: سقينا بنوء كذا، ولم يقل: هذا من رزق الله، فنزلت: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (٣) ،أي شكركم لله على رزقه إياكم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ بالنعمة وتقولون :سقينا بنوء كذا، كقولك: جعلت إحساني إليك إساءة منك إلي، وجعلت إنعامي لديك أن اتخذتني عدوا. وفي«الموطأ » عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس وقال: «أتدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بالكوكب، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا فذلك مؤمن بالكوكب كافر بي»(٤). قال الشافعي رحمه الله: لا أحب أحدا أن يقول مطرنا بنوء كذا وكذا، وإن كان النوء عندنا الوقت المخلوق لا يضر ولا ينفع، ولا يمطر ولا يحبس شيئا من المطر، والذي أحب أن يقول: مطرنا وقت كذا كما تقول : مطرنا شهر كذا، ومن قال: مطرنا بنوء كذا، وهو يريد أن النوء أنزل الماء، كما عني بعض، أهل الشرك من الجاهلية بقوله فهو كافر، حلال دمه إن لم يتب. وقال أبو عمر بن عبد البر: وأما قوله عليه الصلاة والسلام حاكيا عن الله سبحانه: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» فمعناه عندي على وجهين: أما أحدهما فإن المعتقد بأن النوء هو الموجب لنزول الماء، وهو المنشئ للسحاب دون الله عز وجل فذلك كافر كفرا صريحا يجب استتابته عليه وقتله إن أبى لنبذه الإسلام ورده القرآن. والوجه الآخر: أن يعتقد أن النوء ينزل الله به الماء، وأنه سبب الماء على ما قدره الله وسبق في علمه،وهذا وإن كان وجها مباحا، فإن فيه أيضا كفرا بنعمة الله عز وجل، وجهلا بلطيف حكمته في أنه ينزل الماء متى شاء، مرة بنوء كذا، ومرة بنوء كذا، وكثيرا ما ينوء النوء فلا ينزل معه

(١) ضعيف : الطبري (٢٧/ ٢١٥) في تفسيره ، والقراءة غير متواترة ، وضعفه الألباني كما في سنن الترمذي (٣٢٩٥) في كتاب تفسيرالقرآن .

(٢) صحيح : وقد سبق .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور(٦/ ٢٣٤) وعزاه لابن مردويه ،وذكره في اللباب(ص٣٧) عن أبي برزة ـ وعزاه لابن أبي حاتم .

(٤) متفق عليه: وسبق تخريجه في الصحيحين .

شيء من الماء، وذلك من الله تعالى لا من الـنوء. وكذلك كان أبو هريرة يقول إذا أصـبح وقد مطر: مطرنا بنوء الفتح، ثم يتلو ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢] قال أبو عمر: وهذا عندي نحو قـول رسول الله ﷺ: «مطرنا بفضل الله ورحـمته» (١). ومن هذا الباب قـول عمر بن الخطاب للعباس بن عبد المطلب حين استسقى به: يا عم رسول الله ﷺ كم بقي من نوء الثريا؟ فقال العباس: العلماء يزعمون أنهـا تعترض في الأفق سبعا بعد سقوطها. فـما مضت سابعة حتى مطروا، فقال عمر: الحمـد لله هذا بفضل الله ورحمته (٢). وكان عمر رحمه الله قد علم أن نوء الثريا وقت يرجى فيه المطر ويؤمل فسأله عنه: أخرج أم بقيت منه بقية ؟

وروى سفيان بن عيينة عن إسـماعيل بن أمية أن النبي ﷺ سمع رجلا في بعض أسفاره يقول: مطرنا ببعض عثانين الأسـد، فقال رسول الله ﷺ: «كذبت ،بل هو سقـيا الله عز وجل » (٣) قال سفيان: عثانين الأسد الـذراع والجبهة. وقراءة العامة﴿ تُكَذِّبُونَ﴾ من التكذيب. وقرأ المفضل عن عاصم ويحيى بن وثاب « تَكْذِبُونَ» بفتح التـاء مخففا. ومعناه ما قدمنـاه من قول من قال: مطرنا بنوء كذا. وثبت من حديث أنس بن مالك قـال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لن يزلن في أمتي : التـفاخر في الأحسـاب، والنياحـة ،والأنواء» (٤) ولفظ مـسلم في هذا : « أربع في أمتي من أمـر الجاهلـية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» (٥).

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ أي فهلا إذا بلغت النفس أو الروح الحلقـوم. ولم يتقدم لها ذكر، لأن المعنى معروف، قال حاتم.

أَمَاوِيّ ما يُغْنِي الثَّرَاءُ عنِ الفتى إذا حَشْرَجَتْ يَوْماً وضاقَ بِها الصَّدْرُ (٦)

وفي حديث: « إن ملك الموت له أعـوان ويقطعون العروق ويجمـعون الروح شيـئا فشيئـا حتى ينتهى بـها إلى الحلقوم فـيتوفـاها ملك الموت» (٧). ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ أمري وسلطـاني. وقيل: تنظرون إلى الميت لا تقدرون له على شيء. وقال ابن عـباس: يريد من حضر من أهل الميت ينتظرون متى تخرج نفسه(٨). ثم قيل: هو رد عليهم في قولهم لإخوانهم: ﴿ لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٥٦] أي فهل ردوا روح الواحـد منهم إذا بلغت الحلقوم. وقيل: المعنى فـهلا إذا بلغت نفس أحدكم الحلقوم عند النزع وأنتم حـضور أمسكتم روحه في جسده، مع حرصكم على امـتداد عمره،

(١، ٢) كذا عند الطبري فـي تفسيره (٢٧/ ٢١٥، ٢١٦) ،ورجاله ثقـات لولا عنعنة محمد بن إسـحاق وهو مدلس وقد عنعنه .

والحديث ضعيف هكذا .

وقد روى البخاري (١٠١٠) في كتاب الاستسقاء قصة استسقاء عمر بالعبّاس عم النبي ﷺ .

(٣) مرسل : الطبري (٢٧/ ٢١٦) في تفسيره.

(٤) رجاله ثقات : الهيثمي في المجمع (٣ / ١٢) وعزاه لأبي يعلى ، وقال: «رجاله ثقات» .

(٥) صحيح : مسلم(٩٣٤) في الجنائز .

(٦) سبق أنه من قول أبي بكر ـ رضي الله عنه .

(٧) ضعيف : ذكره المصنف بنحوه في التذكرة (١/ ١٤٠) بلا سند ولا أراه إلا من قول بعض الصالحين .

(٨) تفسير البغوي (٨/ ٢٥) .

وحبكم لبقائه. وهذا ردا لقولهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]. وقيل: هو خطاب لمن هو في النزع، أي إن لم يك ما بك من الله فهلا حفظت على نفسك الروح. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أي بالقدرة والعلم والرؤية. قال عامر بن عبد القيس: ما نظر إلى شيء إلا رأيت الله تعالى أقرب إلي منه. وقيل: أراد ورسلنا الذين يتولون قبضه ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ ﴿وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ﴾ أي لا ترونهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي فهلا إن كنتم غير محاسبين ولا مجزيين بأعمالكم، ومنه قوله تعالى: ﴿أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣] أي مجزيون محاسبون. وقد تقدم. وقيل: غير مملوكين ولا مقهورين. قال الفراء وغيره: دِنْتُه: ملكته، وأنشد للحطيئة:

لقد دُيِّنْتِ أَمْرَ بَنِيكِ حَتَّى تَرَكْتِهِمُ أَدَقَّ من الطَّحِينِ

يعني ملكت. ودانه أي أذله واستعبده، يقال: دنته فدان. وقد مضى في « الفاتحة » القول في هذا عند قوله تعالى: ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]. ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ ترجعون الروح إلى الجسد. ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي ولن ترجعوها فبطل زعمكم أنكم غير مملوكين ولا محاسبين. و﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ جواب لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾، ولقوله: ﴿فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أجيبا بجواب واحد؛ قاله الفراء. وربما أعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] أجيبا بجواب واحد وهما شرطان.

وقيل: حذف أحدهما لدلالة الآخر عليه. وقيل: فيها تقديم وتأخير، مجازها: فلولا وهلا إن كنتم غير مدينين ترجعونها، تردون نَفْسَ هذا الميت إلى جسده إذا بلغت الحلقوم.

﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ذكر طبقات الخلق عند الموت وعند البعث، وبين درجاتهم فقال: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ﴾ هذا المتوفى ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم السابقون ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ وقراءة العامة ﴿فَرَوْحٌ﴾ بفتح الراء ومعناه عند ابن عباس وغيره: فراحة من الدنيا (١).

قال الحسن: الروح الرحمة (٢). الضحاك: الروح الاستراحة (٣). القتبي: المعنى له في القبر طيب نسيم. وقال أبو العباس بن عطاء: الروح النظر إلى وجه الله، والريحان الاستماع لكلامه ووحيه (٤)، ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ هو ألا يحجب فيها عن الله عز وجل.

وقرأ الحسن وقتادة ونصر بن عاصم والجحدري ورويس وزيد عن يعقوب « فَرُوحٌ » بضم

(١ - ٤) تفسير البغوي (٨/ ٢٥، ٢٦)، وأثر ابن عباس ضعيف، لكونه ورد منقطعًا عن علي بن أبي طلحة، ومن طريق العوفيين أيضًا كما عند الطبري (٢٧/ ٢١٨، ٢١٩) في تفسيره.

الراء [١]، ورويت عن ابن عباس. قال الحسن: الروح الرحمـة، لأنها كالحياة للمرحوم [٢]. وقالت عائشة رضي الله عنها: قرأ النبي ﷺ «فَرُوحٌ» بضم الراء [٣]، ومعناه: فبقاء له وحياة في الجنة وهذا هو الرحمة. ﴿ وَرَيْحَانٌ ﴾ قال مجـاهد وسعيد بن جـبير: أي رزق.[٤]. قال مقـاتل: هو الرزق بلغة حمير[٥]، يقال: خرجت أطلب ريحان الله أي رزقه، قال النمر بن تولب:

سَلاَمُ الإِلهِ ورَيْحَانُه ورحمتُه وسَمَاءٌ دِرَرْ

وقال قتادة: إنه الجنة [٦]. الضحاك: الرحمة [٧]. وقيل: هو الريحان المعروف الذي يشم؛ قاله الحسن وقتادة أيضا. الربيع بن خثيم: هذا عند الموت والجنة مخبوءة له إلى أن يبعث[٨]. أبو الجوزاء: هذا عند قبض روحه يتلقى بضبائر الريحان [٩]. أبو العاليـة: لا يفارق أحد روحـه من المقربين في الدنيا حتى يؤتى بغصنين من ريحـان فيشمهما ثم يقبض روحـه فيهما[١٠]، وأصل ريحان واشتقاقه تقدم في أول سورة « الرحمن» [١١] فتأمله. وقد سرد الثعلبي في الروح والريحان أقوالا كثيرة سوى ما ذكرنا من أرادها وجدها هناك.

قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ ﴾ أي: ﴿ إن كَانَ﴾ هذا المتوفى ﴿ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ أي لست ترى منهم إلا ما تحب من السلامة فلا تهتم لهم، فإنهم يسلمـون من عذاب الله. وقيل: المعـنى سلام لك منهم، أي أنت سـالم من الاغتمـام لهم. والمعنى واحد. وقـيل: أي إن أصحاب اليـمين يدعون لك يا مـحمد بأن يصلي الله عليـك ويسلم. وقيل: المعنى إنهم يسلمـون عليك يا محمـد. وقيل: مـعناه سلمت أيها العبـد مما تكره فإنك من أصحـاب اليمين، فـحذف إنك. وقيل: إنـه يحيا بالسـلام إكراما، فـعلى هذا في محل السـلام ثلاثة أقاويل: أحدها عند قبض روحه في الدنيا يسـلم عليه ملك الموت، قاله الضحاك[١٢]. وقال ابن مسعود: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: ربك يقـرئك السلام. وقد مضى هذا في سورة النحل عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٢]. الثاني: عند مساءلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير. الثالث: عند بعثه في القيامة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله إليها.

قلت: وقد يحتمل أن تسلم عليه في المواطن الثـلاثة ويكون ذلك إكراما بعد إكرام. والله أعلم.

وجواب ﴿ إن﴾ عند المبرد محذوف التقدير مهما يكن من شيء ﴿ فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ إن كان من أصحاب اليمين ﴿فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ فحذف جواب الشرط لدلالة مـا تقدم عليه، كما حذف الجـواب في نحو قولك: أنت ظالم إن فعلـت، لدلالة ما تقدم عليه. ومـذهب الأخفش: أن الفاء جواب «أما » و « إن » ومـعنى ذلك أن الفاء جواب« أما » وقد سدت مـسد جواب « إن » على

---

(١) قراءة متواترة: تقريب النشر(ص ١٧٨).

(٢) تفسير البغوي (٨/ ٢٦)، والطبري (٢٧/ ٢١٩) في تفسيره.

(٣) صحيح: أبو داود (٣٩٩١) في الحروف والقراءات، والترمذي (٢٩٣٨) في القراءات، وصححه الألباني.

(٤ ـ ١٠) تفسير البغوي (٨/ ٢٦، ٢٧).

(١١) عند الآية (١٢).

(١٢) انظر: البغوي (٨/ ٢٧) في تفسيره.

التقدير المتـقدم، والفاء جواب لهـما على هذا الحد . ومعنى « أما » عـند الزجاج: الخروج من شيء إلى شيء، أي دع ما كنا فيه وخذ في غيره.

قوله تـعالى: ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾ بالبعث ﴿ الضَّالِّينَ﴾ عن الهدى وطريق الحق: ﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي فلهم رزق من حميم، كـما قال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ ﴾، وكما قال: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات: ٦٧] ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ إدخال في النار. وقـيل: إقامة في الجحيم ومقـاساة لأنواع عذابها، يقال: أصلاه النار وصلاه، أي جعـله يصلاها والمصدر هاهنا أضيف إلى المفعول، كما يقال: لفلان إعـطاء مال أي يعطى المال. وقرئ « وتصلية» بكسر التاء أي ونزل من تصلية جـحيم. ثم أدغم أبو عمـرو التاء في الجيم وهو بعـيد. ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ أي هذا الذي قصصناه محض اليقين وخـالصه. وجاز إضافة الحق إلى اليقين ،وهما واحد لاخـتلاف لفظهما. قال المبرد: هو كقولك :عين اليقين ،ومحض اليقين، فهو من باب إضافة الشيء إلى نفسه عند الكوفيين. وعند البصريين :حق الأمر اليقين أو الخبر اليقين. وقيل: هو توكيد. وقيل: أصل اليقين أن يكون نعتا للحق فأضيف المنعوت إلى النعت على الاتـساع والمجاز، كقوله: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩]. وقال قتادة في هـذه الآية: إن الله ليس بتارك أحدا من الناس حتى يقـفه على اليقين من هذا القـرآن، فأما المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة، وأمـا الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه اليقين[1].

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ أي نزه الله تعـالى عن السـوء. والباء زائدة أي سـبح اسم ربك، والاسم المسمى. وقيل: ﴿فَسَبِّحْ ﴾ أي فصل بذكر ربك وبأمره. وقيل: فـاذكر اسم ربك العظيم وسبحه. وعن عقبة بن عـامر قال: لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ قال النبي ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم»، ولما نزلت: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١] قال النبي ﷺ: « اجعلوها في سـجودكم» خرجـه أبو داود[2] ، والله أعلم .

---

(١) صحيح : الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٢٢) .

(٢) ضعيف : أبو داود (٨٦٩) في الصلاة ،وابن ماجه (٨٨٧) في إقامة الصـلاة والسنة فيها ،وضعفه الألباني هناك.